مجمل اعتقاد أئمة السلف

جمع وإعداد

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف

والدعوة والإرشاد

مقدمة

الحمد لله، رب العالمين، والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن المُتتبع لما أُثِر عن سلفنا الصالح في أصول الدين، يجد اتفاقًا في جُل مسائِله، ويجد اعتناءً خاصا بقضايا العقيدة، واهتمامًا بها في التعليم والتوجيه والدعوة على خلاف ما نراه اليوم في كثير من بلاد العالم الإسلامي، مما أحدث شيئًا من الاختلاف والتخّبطِ لدى بعض الجماعات والطوائف الإسلامية.

وقد كنت أثرت ذلك الفرق بين منهج السلف وما عليه كثير من المدارس العلمية والتوجهات الفكرية في غالب أوطان المسلمين، أثرُته في مناسبات عدة، ولقاءات وندوات، وكان البعض يستغرب حديثي عن منهج السلف في الاعتقاد واتفاقهم في غالب مسائله، ويود لو جمعت بعض النصوص في ذلك، وبخاصة عن الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس الشافعي، وأحمد بن محمد بن حنبل، رحمهم الله تعالى، مما جعلني أجمع في هذه الرسالة بعضًا من هذه النصوص، مضيفًا إليها نصوصا أخرى لأئمةٍ آخرين معتبرين، كالإمام البخاري، والطحاوي، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وغيرهم، رحمهم الله جميعًا، مقدمًا لهذه النصوص بمقدمةٍ عن أهمية توحيد الله في رُبوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وصفاته، وكيف بَين القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ذلك أتم بيانٍ وأكمله، وكيف خدم علماءُ المسلمين جيلًا بعد جيلٍ العقيدةَ الإسلامية، وأثر ذلك في مجتمعاتهم إلى وقتنا الحاضر، حيث قامت الدولة السعودية الأولى على يد مؤسسها الإمام المجاهد محمد بن سعود، رحمه الله تعالى، على أساس من دعوة الإصلاح؛ التي دعا إليها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، واستمرت هذه الدولة في أحقابها التالية على ذات المنهج، والذي تجلى في أوضح صورة فيما قام به الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود، رحمه الله، حيث وحد المملكة العربية السعودية، ونهض بها على أساس من عقيدة التوحيد وشريعة الإسلام.

ورأيتُ من المناسب ختم هذه الرسالة بذكر قواعد عامة مستقاة من منهج أئمة سلف هذه الأمة في دراستهم لمسائل العقائد والتوحيد، واعتمادهم في ذلك على كتاب الله تعالى وسنة رسول ﷺ أولًا وقبل كل شيء، وهذه القواعد منقولة من مقدمة " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز، في طبعته المحققة الصادرة في عام (١٤٠٨ هـ).

سائلا الله تبارك وتعالى أن ينفع بهذه النقول كل من اطلع عليها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

عبد الله بن عبد المحسن التركي

لا إله إلا الله أساس الوجود

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد، وآله وصحبه ومن والاه. أما بعد:

فإن: " لا إله إلا الله " هي أساس الوجود:

فما خَلَق الله الجن والإنس إلا لتوحيده وعبادته:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾ (1) [الذاريات: ٥٦].

وما أرسلَ الله الرسل إلا لتوحيده وعبادته:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ (2) [الأنبياء: ٢٥].

وما خلق الله في هذا الكون من شيء إلا لتوحيده وتسبيحه:

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ ﴾ (3) [الإسراء: ٤٤].

ومن لُباب التوحيد: أن يُحمَد الإلهُ العليّ العظيم الجليل الرحيم على ذلك.

فَنحمدُ الله الذي جعل توحيده أولَ أمرٍ، وأعظم مسألة، وأبقى حقيقة:

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧ ﴾ (4) [الفاتحة].

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ

(١) سورة الذاريات آية : ٥٦ .
(٢) سورة الأنبياء آية : ٢٥ .
(٣) سورة الإسراء آية : ٤٤ .
(٤) سورة الفاتحة كلها .

يَعۡدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٖ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلٗاۖ وَأَجَلٞ مُّسَمًّى عِندَهُۥۖ ثُمَّ أَنتُمۡ تَمۡتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِۖ يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ وَجَهۡرَكُمۡ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ (١) [الأنعام: ١ - ٣].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا ﴿٥﴾﴾ (٢) [الكهف: ١ - ٥].

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ (٣) [سبأ: ١، ٢].

﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾ (٤) [الجاثية: ٣٦، ٣٧].

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له:

* شهادة الموقن بوحدانية الله في ربوبيته:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا

(١) سورة الأنعام آية : ١ – ٣ .
(٢) سورة الكهف آية : ١ – ٥ .
(٣) سورة سبأ آية : ١ – ٢ .
(٤) سورة الجاثية آية : ٣٦ – ٣٧ .

ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (1) [الأنعام: ٩٥ - ١٠٣].

* وشهادة الموقن بوحدانية الله في ألوهيته:

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ ﴾ (2) [الزمر: ١، ٢].

﴿ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (3) [غافر: ٦٥، ٦٦].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ (4) [البينة: ٥].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٩٥ - ١٠٣ .
(٢) سورة الزمر آية : ١ - ٢ .
(٣) سورة غافر آية : ٦٥ - ٦٦ .
(٤) سورة البينة آية : ٥ .

﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾ (١) [الشورى: ١٠].

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢) [المائدة: ٥٠].

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٣) [البقرة: ١٦٥].

* وشهادة الموقن بوحدانية الله في أسمائه:

﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ (٤) [الإسراء: ١١٠].

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾ (٥) [طه: ٨].

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ﴾ (٦) [الحشر: ٢٤].

* وشهادةَ الموقن بوحدانيةِ الله في صفاته وأفعاله:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

(١) سورة الشورى آية : ١٠ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥٠ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٦٥ .
(٤) سورة الإسراء آية : ١١٠ .
(٥) سورة طه آية : ٨ .
(٦) سورة الحشر آية : ٢٤ .

ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (1) [البقرة: ٢٥٥].

﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ ﴾ (2) [طه: ٥، ٦].

﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ ﴾ (3) [غافر: ١٥].

﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ﴾ (4) [الحديد: ١ - ٦].

﴿ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ (5) [البروج: ١٢ - ١٦].

﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ

---

(١) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٢) سورة طه آية : ٥ - ٦ .
(٣) سورة غافر آية : ١٥ .
(٤) سورة الحديد آية : ١ - ٦ .
(٥) سورة البروج آية : ١٢ - ١٦ .

أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ (١) [القمر: ٤٩ - ٥٥].

﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِيٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ﴾ (٢) [فصلت: ٩ - ١٢].

﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ (٣) [الذاريات: ٤٧ - ٤٩].

﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ ﴾ (٤) [الأنعام: ١١٥].

﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ (٥) [الشورى: ٥١].

﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ

(١) سورة القمر آية : ٤٩ - ٥٥ .
(٢) سورة فصلت آية : ٩ - ١٢ .
(٣) سورة الذاريات آية : ٤٧ - ٤٩ .
(٤) سورة الأنعام آية : ١١٥ .
(٥) سورة الشورى آية : ٥١ .

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [1] [الأعراف: ١٤٤].

﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ [2] [الكهف: ٢٧].

﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [3] [الشورى: ١١].

ونشهد أن محمدًا عبدُ الله ورسوله ومُصطفاه ومُجتباه:

* شهادةَ المؤمن بأن محمدًا رسول الله ﷺ أعظم مَنْ استقر في قلبه توحيدك يا ربنا.

* وشهادةَ المؤمن بأن محمدًا رسول الله ﷺ أعظم من دعا إلى توحيدك يا إلهنا.

* وشهادة المؤمن بأن محمدًا رسول الله ﷺ أعظم من نطق لسانه بتوحيدك فقال ﷺ

﴿ الحمدُ لله الذي وسِعَ سَمْعُه الأصوات ﴾ [4] [5].

﴿ اللهم إني أسْتخيرك بِعلمِكَ، وأستقْدِرُكَ بقُدْرَتِكَ ﴾ [6] [7].

﴿ ارْبعوا على أنفسكم، إنكم لا تَدْعون أصم ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو

---

(١) سورة الأعراف آية : ١٤٤ .

(٢) سورة الكهف آية : ٢٧ .

(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

(٤) النسائي الطلاق (٣٤٦٠) ، ابن ماجه المقدمة (١٨٨) .

(٥) أخرجه النسائي في كتاب الطلاق ، باب الظهار : (٣٤٦٠) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية : (١٨٨) ، وأحمد في مسنده : (٦ / ٤٦) من قول عائشة رضي الله عنها .

(٦) البخاري الدعوات (٦٠١٩) ، الترمذي الصلاة (٤٨٠) ، النسائي النكاح (٣٢٥٣) ، أبو داود الصلاة (١٥٣٨) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٨٣) ، أحمد (٣٤٤/٣) .

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ، باب الدعاء عند الاستخارة : (٦٣٨٢) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الاستخارة : (١٥٣٨) ، والترمذي في كتاب الصلاة ، باب ما جاء في صلاة الاستخارة : (٤٨٠) ، والنسائي في كتاب النكاح ، باب كيف الاستخارة : (٣٢٥٣) .

معكم ﴾ [(١)] [(٢)].

﴿ اللهم لك الحمدُ، أنتَ رب السماواتِ والأرضِ، لك الحمدُ أنت قيمُ السماوات والأرض ومن فيهنّ، لك الحمدُ، أنت نورُ السماواتِ والأرض، قولك الحق ووعدُك الحق، ولقاؤكَ حقّ، والجنة حقٌ، والنارُ حق، والساعة حقٌ، اللهم لك أسلمتُ، وبكَ آمنتُ، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفرْ لي ما قدّمتُ وما أخرت وأسررْت وأعلنت، أنتَ إلهي لا إله لي غيرك ﴾ [(٣)] [(٤)].

﴿ أصبَحْنَا على فِطرةِ الإسلامِ، وعلى كلمة الإخلاص، وعلى دِين نبيّنا محمد ﷺ وعلى ملةِ أبِيْنا إبراهيمَ حَنيفًا مُسلمًا، وما كَانَ مِنَ المُشرِكينَ ﴾ [(٥)] [(٦)].

---

(١) البخاري المغازي (٣٩٦٨) ، مسلم الذكر والدعـاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤) ، الترمذي الدعـوات (٣٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٥٢٦) ، أحمد (٤٠٢/٤) .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ، في كتاب المغازي ، باب غزوة خيبر : (٤٢٠٥) ، ومسلم في كتاب الذكر ، باب استحباب خفض الصوت بالذكر : (٢٧٠٤) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب الاستغفار : (١٥٢٦) .

(٣) البخاري التوحيد (٦٩٥٠) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٦٩) ، الترمذي الدعوات (٣٤١٨) ، النسائي قيام الليل وتطوع النهار (١٦١٩) ، أبو داود الصلاة (٧٧١) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٥٥) ، أحمد (٣٥٨/١) ، مالك النداء للصلاة (٥٠٠) ، الدارمي الصلاة (١٤٨٦) .

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له ، في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (وهو الذي خلق السماوات . . .) : (٧٣٨٥) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل : (٢٧١٧) .

(٥) أحمد (٤٠٦/٣) ، الدارمي الاستئذان (٢٦٨٨) .

(٦) رواه أحمـد في مسنده واللفظ له : (٣ / ٤٠٦) ، والدارمـي في كتاب الاستئذان ، باب ما يقول إذا أصبح : (٢٦٩١) ، وابن السني في عمل اليوم والليلة ، باب ماذا يقول إذا أصبح : (٣٣) .

﴿أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ الناسَ حَتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِله إِلا الله، وأن محمدًا رَسولُ الله... ﴾ (1) (2).

﴿لا إِله إِلا الله وحدَه، لا شريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ ولَهُ الحَمْدُ وهو على كل شيءٍ قَدير... ﴾ (3) (4).

﴿اللهُم رب السماوات ورب الأرضِ رب العرش العظيم، رَبنا ورب كل شيء فالِقَ الحب والنوى، ومُنـزلَ التوراةِ والإنجيل والفرقان أعوذ بك من شر كل شيءٍ أنتَ آخذٌ بناصيَته، اللهمّ أنتَ الأول فليسَ قبلكَ شيءٌ، وأنت الآخِرُ فَلَيسَ بعدك شيءٌ، وأنتَ الظاهِرُ فليسَ فوقكَ شيءٌ، وأنت الباطنُ فليسَ دونكَ شيءٌ، اقض عنا الدّيْنَ وأغْننا مِنَ الفَقْرِ ﴾ (5) (6).

﴿إِنكم سَتَرَونَ رَبكم كما تَرَوْنَ هذا القمر، لا تُضامون في رُؤيته، فإِن استطعتم أن

(1) البخاري الإيمان (25) ، مسلم الإيمان (22) .

(2) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الإيمان ، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة . .) : (25) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمدًا رسول الله : (22) ، وابن حبّان في كتاب الإيمان ، باب فرض الإيمان : (175 ، 219) ، والبغوي في كتاب الإيمان ، باب البيعة على الإسلام وشرائعه وقتال من أبى : (33) من حديث ابن عمر ، وله طرق أخرى كثيرة .

(3) البخاري الأذان (808) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (593) ، النسائي السهو (1341) ، أبو داود الصلاة (1505) ، أحمد (247/4) ، الدارمي الصلاة (1349) .

(4) أخرجه البخاري في كتاب العمرة ، باب ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ؟ : (1797) ، ومسلم في كتاب الحج ، باب ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره : (1344) .

(5) مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (2713) ، الترمذي الدعوات (3400) ، أبو داود الأدب (5051) ، ابن ماجه الدعاء (3831) ، أحمد (404/2) .

(6) أخرجه مسلم واللفظ له ، في كتاب الذكر والدعاء . . . ، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع : (2713) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم : (5051) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء إذا أوى إلى فراشه : (3400) .

لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها فافعلوا... ﴾ [١] [٢].

﴿ احْفَظ الله يَحْفَظْكَ، احفَظ الله تجِدْهُ تُجاهَكَ، إذا سألْتَ فَاسألِ الله، وإذا استَعَنْتَ فاستَعِنْ بالله، واعلَمْ أن الأمةَ لو اجتمَعَتْ على أنْ يَنفَعوكَ بشيءٍ، لم يَنفعُوكَ إلا بشيء قَدْ كَتَبه الله لَكَ، ولو اجتَمعُوا على أنْ يَضروكَ بشيء، لم يَضُروكَ إلا بشيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَليكَ، رُفِعَت الأقلامُ، وجَفّتِ الصحُف ﴾ [٣] [٤].

﴿ إن الله تعالى يَبسُط يدَه بالليل لِيَتوبَ مُسيءُ النهار، ويَبسُط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل حتى تَطلَعَ الشمسُ من مَغرِبها ﴾ [٥] [٦].

﴿ سُبحانَ الله عَدَدَ خَلْقِه، سُبحان الله رِضاءَ نَفْسِهِ، سُبحانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبحانَ الله مِدَادَ كَلِماتِهِ... ﴾ [٧] [٨].

---

(١) البخاري مواقيت الصلاة (٥٢٩) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٢٩) ، ابن ماجه المقدمة (١٧٧) ، أحمد (٣٦٠/٤) .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ، في كتاب مواقيت الصلاة ، باب فضل صلاة العصر : (٥٥٤) ، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب فضل صلاتي الصبح والعصر : (٦٣٣) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب في الرؤية : (٤٧٢٩) ، والترمذي في كتاب صفة الجنة ، باب ما جاء في رؤية الرب تبارك وتعالى : (٢٥٥٤) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فيما أنكرت الجهمية : (١٧٧) ، وأحمد في مسنده : (٣ / ١٦) ، (٤ / ١١ ، ١٢) .

(٣) الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٥١٦) ، أحمد (٣٠٨/١) .

(٤) رواه الترمذي واللفظ له ، في كتاب صفة القيامة ، باب ما جاء في صفة أواني الحوض : (٢٥١٦) ، وأحمد في مسنده : (١ / ٢٩٣) ، والطبراني في " الكبير " : (١٢ / ١٢٩٨٨ ، ١٢٩٨٩) .

(٥) مسلم التوبة (٢٧٥٩) ، أحمد (٤٠٤/٤) .

(٦) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت : (٢٧٥٩) ، وأحمد في مسنده : (٤ / ٣٩٥) .

(٧) أبو داود الصلاة (١٥٠٣) ، أحمد (٣٥٣/١) .

(٨) رواه أحمد في مسنده : (١ / ٣٥٣) ، (٦ / ٣٢٥ ، ٤٣٠) .

﴿ .. اللهم باسمِكَ أموتُ وأحيا.. ﴾ [1] .

﴿ لا إله إلا الله العَظيمُ الحليمُ، لا إله إلا الله ربّ العرش العظيمُ، لا إله إلا الله رب السمواتِ، ورب الأرضِ، ورب العرش الكريم ﴾ [2] [3].

ونشهد أنّ حياة الرسول ﷺ كانت كلها توحيدًا خالصًا لله تعالى.

كان إيمانُه توحيدًا، وكانت نيتُه توحيدًا، وكانت عبادتُه توحيدًا، وكان عملُه توحيدًا، وكان خُلُقه توحيدًا.

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ دِينٗا قِيَمٗا مِّلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [4] [الأنعام: ١٦١ - ١٦٤].

ونشهد أن محمدًا رسول الله ﷺ خير من جاهد في سبيل كلمة التوحيد حتى أتاه اليقين.

ونشهد أن كل توحيدٍ تحقق - بعد مبعثه - كان هو ﷺ سببه بتوفيق المُسببِ وَنصرِه سبحانه.

---

(١) رواه البخاري واللفظ له في كتاب الدعوات ، باب وضع اليد اليمنى تحت الخد الأيمن : (٦٣١٤) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب ما يقال عند النوم : (٥٠٤٩) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في الدعاء إذا انتبه من الليل : (٣٤١٧) ، وأحمد في مسنده : (٥ / ٣٨٥) .

(٢) البخاري التوحيد (٦٩٩٠) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٣٠) ، الترمذي الدعوات (٣٤٣٥) ، ابن ماجه الدعاء (٣٨٨٣) ، أحمد (٢٨٠/١) .

(٣) رواه البخاري واللفظ له ، في كتاب التوحيد ، باب وكان عرشه على الماء . . . : (٧٤٢٦) ، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء . . . ، باب دعاء الكرب : (٢٧٣٠) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاءَ ما يقول عند الكرب : (٣٤٣٥) .

(٤) سورة الأنعام آية : ١٦١ - ١٦٤ .

فصل اللهم على نبيك ورسولك محمد ما عَمرَ قلبٌ بتوحيدك، وما استضاءَ مُجتمع بنور الإيمان بك.

وارْضَ اللهم عن صحابة رسول الله ﷺ الذين ما دار الفَلَك على شاهِدين بالوحدانية لك خير منهم بعد الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فهذا مفتحٌ توحيديّ ذو دلالة مقصودة.

ووجه الدلالة فيه:

* أن العقيدة هي جِماع الأمر ومِلاكه، فليس يسبق العقيدة شيء في منهج الدين، وليس يقوم مقام التوحيد شيء في سلوك التديّن، وصلاح القلب والعمل.

وما من نبي ولا رسول إلا كانت العقيدة عمادَ دعوته، وأول أمره، وباكورة منهجه:

﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [1] [الأعراف: ٥٩].

﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [2] [الأعراف: ٦٥].

﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [3] [الأعراف: ٧٣].

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ ﴾ [4] [الأعراف: ٨٥].

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٦٥ .
(٣) سورة الأعراف آية : ٧٣ .
(٤) سورة الأعراف آية : ٨٥ .

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ (1) [النحل: 36].

وما من داعيةٍ ناجحٍ إلا بدأ بما بدأ بِهِ الرسل، وكان التوحيد قِوام علمه ودعوته.

يعزز هذه الحقيقة - حقيقة أن العقيدة هي جِماع الأمر ومِلاكه - عبرة التاريخ، واستقراء الواقع.

فكل بناء لا تكون العقيدة أسّه، إنما هو بناء بلا أساس، وبلا قرار وإنْ بَدا للناس أنه قد استطالَ.

لقد فسر الناس انيار الحضارات، وبوار الأمم، واضطراب المجتمعات وضنكها بأسباب بلغت المئين عدا، لكن هؤلاء المفسرين غفلوا عن السبب الأسّ وهو: انحراف العقيدة وفسادها بالكفر والشرك والزيغ والضلال والإعراض.

وهو السبب الذي جَلاّه الله في كتابه الكريم، ودعا إلى الاعتبار بنتائجه:

قال تعالى:

﴿ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١٠٨ ﴾ (2) [البقرة: 108].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٦٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩ ﴾ (3) [النساء: 167 - 169].

﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١٣٦ ﴾ (4) [النساء: 136].

(1) سورة النحل آية : 36 .
(2) سورة البقرة آية : 108 .
(3) سورة النساء آية : 167 - 169 .
(4) سورة النساء آية : 136 .

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسًا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ۝١٠ ﴾ (1) [محمد: ٨ - ١٠].

﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ ۝٣١ ﴾ (2) [الحج: ٣١].

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ۝١١٦ ﴾ (3) [النساء: ١١٦].

﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ۝٥ ﴾ (4) [الصف: ٥].

﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ۝٣٦ ﴾ (5) [النحل: ٣٦].

﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ۝١٣ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝١٤ ﴾ (6) [النمل: ١٣، ١٤].

ووجه الدلالة في ذلك المَفْتح:

* أننا - نحن المسلمين - لا نعبد مجهولًا، بل نعبد إلهًا نعرفه بأسمائه وصفاته.

---

(١) سورة محمد آية : ٨ - ١٠ .

(٢) سورة الحج آية : ٣١ .

(٣) سورة النساء آية : ١١٦ .

(٤) سورة الصف آية : ٥ .

(٥) سورة النحل آية : ٣٦ .

(٦) سورة النمل آية : ١٣ - ١٤ .

* ووجه الدلالة فيه - كذلك - أن للعلم بالله تعالى - وهو أعظم العلوم وأشرفها وأنفعها - منهجًا توقيفيًا.

وطريق العلم بهذا المنهج التوقيفي هو: الوحي، وهو كلام الله الذي أوحاه إلى رسوله ﷺ وهو سنّة الرسول في التعريف بالله عز وجل.

إن الله تعالى أخبر - في كتابه الكريم - بدلائل ربوبيته، وخصائص ألوهيته، وأخبر بأسمائه وصفاته.

وآمن الرسول ﷺ بما أخبر به الله على مراد الله.

وبين ﷺ ما أراده الله من توحيد وإخلاص. وعلم أصحابه هذا الإيمان:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾ (1) [البقرة: ٢٨٥].

لبث الرسول ﷺ من لدُنْ مبعثِه إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى، يُعلم أصحابه التوحيد الخالص، ويزكيهم به. فما انقطع خبر السماء، وما اختار رسول الله ما عند الله إلا بعد أن انتصر التوحيد، واستقر الإيمان الخالص، ورسخت دعائمه، وعلت راياته البهية.

لقد كان صَحابة رسول الله ﷺ هم جُند التوحيد بعد الرسول ﷺ وهم دعاته وحرّاسه، فقد لزموا منهج نبيهم الكريم الذي رباهم على توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، وهم الموصوفون - ابتداءً - في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ٦٠ ﴾ (2) [المؤمنون: ٥٧ - ٦٠].

(١) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ٥٧ - ٦٠ .

وفي قوله جل شأنُه:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ (1) [آل عمران: ٧ - ٩].

وفي قوله سبحانه:

﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَـٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ ﴾ (2) [آل عمران: ١٩٠ - ١٩٥].

وهم المقصودون بالأولية في خير القرون في حديث: ﴿ خَيرُ الناس قَرْني، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يَلونهم... ﴾ (3) (1).

(١) سورة آل عمران آية : ٧ - ٩ .

(٢) سورة آل عمران آية : ١٩٠ - ١٩٥ .

(٣) البخاري الشهادات (٢٥٠٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٥٣٣) ، الترمذي المناقب (٣٨٥٩) ، ابن ماجه الأحكام (٢٣٦٢) ، أحمد (٤٣٤/١) .

فمقياس الأولية في هذه الخيرية العظيمة هو: التوحيد العظيم المكين الخالص.

فما يُخَيرُ قوم على قوم إلا بصدق التوحيد، والعمل بمقتضاه.

يقول الحافظ أبو القاسم اللالكائي:

" فإنّ أوجب ما على المرء، معرفة اعتقاد الدين، وما كلّف الله به عباده من فَهم توحيده وصفاته، وتصديق رسله بالدلائل واليقين، والتوصل إلى طرقها، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين، وكان من أعظم مقول، وأوضح حجةٍ ومعقول: كتاب الله الحق المبين، ثم قول رسول الله ﷺ وَصحابته الأخيار المتقين، ثم ما أجمع عليه السلف الصالحون، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع إليها مما أحدثها المضلون.

فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة، والآثار المحفوظة المنقولة، وطرائق الحق المسلوكة، والدلائل اللائحة المشهورة، والحجج الناهرة المنصورة، التي عمل عليها الصحابة والتابعون، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين، واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين " [(٢)].

ثم يقول:

" فلم تزل الكلمة مجتمعة [(٣)] والجماعة متوافرة على عهد الصحابة الأول ومن بعدهم من السلف الصالحين، حتى نبغت نابغة بصوت غير معروف، وكلام غير مألوف في أول إمارة المروانية تُنازع في القدر وتتكلم فيه " [(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له ، في كتاب فضائل أصحاب النبي باب فضائل أصحاب النبي : (٣٦٥١) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم . . : (٢٥٣٣) ، وأبو داود في كتاب السّنة ، باب فضل أصحاب رسول الله (٤٦٥٧) ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في القرن الثالث : (٢٢٢١) ، والنسائي في كتاب الأيمان والنذور ، باب الوفاء بالنذر : (٣٨٠٩) .

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " لأبي القاسم اللالكائي : (١ / ٩) .

(٣) المقصود بالكلمة ، كلمة العقيدة المنجية .

(٤) أي في إمارة عبد الملك بن مروان ، ففي عهده خرج معبد الجهني ، وهو أول من أظهر القول بالقدر . " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " : (١ / ١٦) .

ولقد تأذن الله تعالى أن يَختار من أوليائه وخاصته من يكر على أصوات الباطل بحقائق التوحيد فيدفعها، ويعيد التوحيد نقيًا قويًا. وقد قال الصادق المصدوق ﷺ

﴿ لا تزالُ طائفة من أُمتي ظاهِرينَ على الحق لا يَضُرهمْ مَنْ خَذَلَهم حتى يأتيَ أمر الله وهُمْ كذلك ﴾ [١] [٢].

إِن دلالة هذا الحديث تحققت في كل عصر ولله الفَضْلُ والمَن.

وتأتلق هذه الدلالة أشد ما تأتلق في مقام عقيدة التوحيد، وخلوص الإيمان، فقد برز في كل قرن من القرون رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، قاموا بالذب عن العقيدة الصحيحة السليمة خير قيام، وجاهدوا في سبيل تثبيت أُسسها وترسيخ قواعدها خير جهاد، وكان نَهجهم الدعوة والعلم والعمل، فكان خير نج، فأعطى خير ثمار.

ففي أواخر القرن الأول وبدايات القرن الثاني برز من هؤلاء الرجال - على سبيل المثال لا الحصر -: القاسم بن محمد بن أبي بكر، وسليمان بن يسار.

وفي القرن الثاني ظهر: مالك بن أنس، وسفيان الثوري، ووكيع بن الجراح.

وفي القرن الثاني وأوائل القرن الثالث برز: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، والفَضْل بن دُكين.

وفي القرن الثالث برز: أحمد بن حنبل، ومحمد بن إسماعيل البخاري، وأبو داود سليمان بن الأشعث.

وفي أواخر القرن الثالث ظهر: محمد بن جرير الطبري.

وفي القرن الرابع ظهر: عبد الرحمن بن أبي حاتم، وعلي بن عمر الدارقطني.

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب قول النبي " لا تزال طائفة من أُمتي . . " : (٧٣١١ ، ٧٣١٢) ، ومسلم واللفظ له ، في كتاب الإمارة ، باب قوله " لا تزال طائفة من أمتي . . " : (١٩٢٠) ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء في الأئمة المضلين : (٢٢٢٩) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الرسول (١٠) .

وفي القرن الخامس برز: هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي.

وفي القرن السادس ظهر: الحسين بن مسعود البغوي، وعبد الغني بن عبد الواحد بن سرور الحنبلي.

وفي أواخر القرن السابع، وأوائل القرن الثامن، ظهر الإمام الجليل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وكان لظهوره ما بعده.

فقد جمع ابن تيمية منهج أهل السنة والجماعة؛ في العلم، والاعتقاد، والفهم، والعمل، والسلوك، وأحياه، وحرّره تحريرًا بديعا، اتسم بسعة العلم، وقوة الأمانة، وحسن العرض، ودقة الضبط.

ولكن الإمام ابن تيمية - رحمه الله - سُبِقَ ولُحقَ - في هذا الميدان - بجهاد علمي، صادق ومتصل من الكثير من رجالات أهل السنة والجماعة، كما ذكرنا.

" وخليق بنا أن نذكرها هنا حقيقتين مهمتين [1]

الأولى: أن أهل السنة والجماعة، وهم يبينون العقيدة المنجية في توحيد الله تعالى، وما يلحق بها من شُعب الإيمان الأخرى، يُجلون في الوقت نفسه، ووفق المنهج المعتمد، وفي ذات السياق، الاعتقاد العاصم في مسائل: عدالة الصحابة، وَتفضيل الخلفاء الأربعة الراشدين: أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وخَيرية القرون الأولى، والإمامة، وعدم مُنازعة الأمر أهله، ومُضي الجهاد، والكف عن تكفير المسلم بالمعاصي والذنوب، إذا لم يستَحلها، إلا بدليل يدل على كفر مرتكبها؛ كترك الصلاة متعمدًا، فقد دل الدليل على كفر من فَعله، ووحدة الجماعة، والتزام المنهج الصحيح في فهم الدين.

إن هذا الترابط الموضوعي والمنهجي بين التوحيد، وبين هذه المسائل يدل على:

أ - أن التوحيد هو المنهج الحاكم الذي يجب أن تُفهم كل مسألة في هُداه.

ب - أن الانحراف في هذه المسائل، ذريعة إلى جرح التوحيد وإمراضه.

(١) هذه الفقرة مقتطفة من مقدمة كتاب " شرح العقيدة الطحاوية " للإمام ابن أبي العز الدمشقي ، تحقيق د عبد الله التركي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط : (ص٣٥ ، ٣٦) .

مثال ذلك: عَدالة الصحابة، فإن القَدح في هذه العدالة، ذريعة إلى رد آياتٍ قرآنية، أخبرت بفضل الصحابة وعدالتهم، ورد القرآن إلحاد من الإلحاد.

ج - أن الذين جادلوا بالباطل، في القديم والحديث، في هذه المسائل لم يُعرفوا بصحة العقيدة.

الثانية: أن جمهور علماء أهل السنة والجماعة، وأئمتهم من المذاهب الأربعة وغيرها، على عقيدة واحدة، وإن اختلفوا في الفروع الاجتهادية.

وقد كتب في ذلك علماء مشهورون من مختلف المذاهب، كالإمام أبي حنيفة في رسالته (الفقه الأكبر)، والإمام الطحاوي الحنفي في عقيدته، وشرحها لابن أبي العز، والإمام أحمد بن حنبل فيما نُقل عنه من رسائل وإجابات في العقائد، والإمام البخاري، وابن أبي زيد القيرواني المالكي في رسالته المشهورة وغيرهم ".

ولِتَستَبين هذه الحقائق وتتضح، سنورد نماذج مما نُقل عن بَعض أئمة أهل السنة والجماعة في مجال العقيدة.

مقتطفات مما نقل عن الإمام أبي حنيفة

الإمام أبو حنيفة: [1]

قال الإمام أبو حنيفة [2] - رحمه الله تعالى -: اعلموا يا أصحابي وإخواني، أن مذهب أهل السنة والجماعة على اثنتي عشرة خصلة:

الأولى: الإيمان، وهو إقرارٌ باللسان وتصديقٌ بالجَنان [3].

والإقرار وحده لا يكون إيمانًا، لأنه لو كان إيمانًا لكان المنافقون كلهم مؤمنون.

وكذلك المعرفة وحدها لا تكون إيمانًا، لأنا لو كانت إيمانًا لكان أهل الكتاب

(١) النعمان بن ثابت بن زوطى الكوفي ، ولد سنة (٨٠ هـ) ، وتوفي سنة (١٥٠هـ) ببغداد ، " سير أعلام النبلاء " : (٦ / ٣٩٠ - ٤٠٤) .

(٢) " الطبقات السنية في تراجم الحنفية " : (١ / ١٥٦ - ١٦٠) .

(٣) لا يكتمل التعريف الصحيح للإيمان ، إلا بإضافة عمل الجوارح ، وهو الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة من دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

مؤمنين.

والمؤمن مؤمن حقًا، والكافر كافر حقًا، وليس في الإيمان شك، كما أنه ليس في الكفر شَك، قال الله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ (1) [الأنفال: ٤].

وقال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ ﴾ (2) [النساء: ١٥١].

والعاصون من أمة محمد ﷺ كلهم مؤمنون حقًا (3) وليسوا بكافرين.

وتقدير الخير والشر من الله تعالى، لأنه لو زعم أحد أن قدير الخير والشر من غيره، لصار كافرًا بالله تعالى، وبطل توحيده.

والثانية: نُقر بأن الأعمال ثلاثة؛ فريضة، وفضيلة، ومعصية:

فالفريضة بأمر الله وَمَشيئِته ورضاِئه وقدره وَتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ.

والفضيلة ليست بأمر الله، ولكن بمشيئِته ومحبته ورضائه وقدره وتخليقه وكتابته في اللوح المحفوظ.

والمعصية ليست بأمر الله، لكن بمشيئته لا بمحبته، وبقضائه لا برضائه، وبتقديره لا بتوفيقه، وبخذلانه وعلمه وكتابته في اللوح المحفوظ (4)

---

(١) سورة الأنفال آية : ٤ .

(٢) سورة النساء آية : ١٥١ .

(٣) ولا ينفي عنهم ذلك كونهم عصاة ، فهم مؤمنون عصاة .

(٤) الأمر قسمان : ١ - كوني ، كقوله تعالى : (إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون) ، وقوله : (وكان أمر الله مفعولا) ، وهو مختص بالإيجاد والخلق . ٢ - شرعي ديني ، بقوله : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) ، وقوله : (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وهو أمر تخييري ابتلائي ، وليس هو بمعنى القضاء والقدر . انظر " شفاء العليل " لابن القيم : (٥٨٧ - ٥٨٨) . وقال الشيخ علي القاري : (والطاعات كلها واجبة بأمر الله تعالى وبمحبته ، لقوله تعالى : (والله يحب المحسنين) ، وبرضائه ، لقوله تعالى في حق المؤمنين : (رضي الله عنهم ورضوا عنه) ، وعلمه وقضائه وتقديره ، أي : بمقدار قدره . والمعاصي كلها ، أي : صغيرها وكبيرها ، بعلمه وقضائه وتقديره ومشيئته ، إذ لو لم يردها لما وقعت ، لا بمحبته ، لقوله تعالى : (فإن الله لا يحب الكافرين) ، ولا برضائه ، لقوله تعالى : (ولا يرضى لعباده الكفر) ، ولأن الكفر يوجب المقت الذي هو أشد الغضب ، وهو ينافي رضى الله المتعلق بالإيمان وحسن الأدب ، ولا بأمره ، لقوله تعالى : (قل إن الله لا يأمر بالفحشاء) ، وإذاً فهي داخلة في ذلك الأمر استحسانا . انظر " شرح الفقه الأكبر " : (٨٣ - ٨٤) .

والثالثة: نُقرّ بأن الله سبحانه وتعالى على العرش استوى، وهو حافظ للعرش، وغير العرش، من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره.

والرابعة: نُقِرّ بأن القرآن كلامُ الله تعالى، غير مخلوق، ووحيه وتنزيله، لا هو ولا غيره، بل هو صفته على التحقيق، مكتوب في المصاحف، مقروءٌ بالألسنة، محفوظ في الصدور، غير حال فيها. والحِبر والكاغَدُ والكتابة مخلوق، لأنها أفعال العباد؛ لأن الكتابة والحروف والكلمات والآيات آلة (1) القرآن، لحاجة العباد إليها.

الخامسة: نُقرّ بأن أفضل هذه الأمة بعد نبينا محمد عليه الصلاة والسلام؛ أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم أجمعين، لقول الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلسَّـٰبِقُونَ ۝ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝ فِى جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝ ﴾ (2) [الواقعة: ١٠ - ١٢].

وكل من كان أسبق إلى الخير فهو أفضل عند الله تعالى، ويحبهم كل مؤمن تقي، ويبغضهم كل منافق شقيّ.

والسادسة: نُقر بأن العبدَ مع أعماله وإقراره ومعرفته مخلوق، فلما كان الفاعل مخلوقًا، فأفعاله أولى أن تكون مخلوقة.

والسابعة: نُقرّ بأن الله سبحانه وتعالى خلق الخلق ولم يكن لهم طاقة، لأنهم ضُعفاء عاجزون، فالله تعالى خالقهم ورازقهم، لقوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ ﴾ (3) [الروم: ٤٠]. والكسب بالعلم والمال من الحلال حلال،

---

(١) في " الطبقات السنية " : (دلالة) ، والمثبت : من شرح الفقه الأكبر . قال الشيخ علي القاري : " ونحن نتكلم بالآلات ، أي : من الحلق واللسان والشفة والأسنان ، والحروف ، أي : الأصوات المعتمدة على المخارج المعهودات بالهيئات المعروفات ، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف ، والحروف مخلوقة ، أي : كالآلات " . انظر " شرح الفقه الأكبر " : (٥١) .

(٢) سورة الواقعة آية : ١٠ - ١٢ .

(٣) سورة الروم آية : ٤٠ .

ومن الحرام حَرام.

والثامنة: نُقر بأن الاستطاعة مع الفعل، لا قبل الفعل، ولا بعد الفعل، لأنه لو كان قبل الفعل لكان العبد مستغنيًا عن الله تعالى وقت الحاجة، فهذا خلاف حكم النص، لقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ ﴾ (1) [محمد: ٣٨].

ولو كان بعد الفعل لكان من المحال، لأنه حصول بغير استطاعة ولا طاقة.

والتاسعة: نُقرّ بأن المسحَ على الخُفين واجب للمقيم يومًا وليلة (2) وللمسافر ثلاثة أيام ولياليها، لأن الحديث ورد هكذا.

فمن أنكر فإنه يُخشى عليه الكفر، لأنه قريب من الخبر المتواتر.

والقصر والإفطار في السفر رخصةٌ بنص الكتاب.

والعاشرة: نُقر بأن الله تعالى أمر القلم أن يكتب، فقال القلم: ماذا أكتب يا رب؟ فقال الله تعالى: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة، لقوله تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ (3) [القمر: ٥٢، ٥٣].

والحادية عشرة: نُقرّ بأن عذاب القبر كائنٌ لا محالة، وسُؤالَ مُنكر ونكير حَقٌّ، لورود الأحاديث.

والجَنة والنارَ حَقٌّ، لقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ (4) [الأنبياء: ٤٧].

وقراءةَ الكتب حق، لقوله تعالى: ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾

---

(١) سورة محمد آية : ٣٨ .

(٢) المقصود بالوجوب ، هو على من يريد بقاء الخفين على والرجلين ، فإنه يجب عليه المسح ، فلو صلى من غير مسح لم تصح صلاته .

(٣) سورة القمر آية : ٥٢ - ٥٣ .

(٤) سورة الأنبياء آية : ٤٧ .

﴾ [1] [الإسراء: ١٤].

والثانية عشرة: نُقر بأن الله تعالى يُحيي هذه النفوسَ بعدَ الموت، وَيبعثهم في يوم كان مقدارُه خمسين ألف سنة، للجزاء والثواب وأداء الحقوق، لقوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ۝٧ ﴾ [2] [الحج: ٧].

ولقاء الله تعالى لأهلِ الحق حق بلا كَيْفية [3] ولا تشبيه ولا وَجْه [4].

وشفاعة نبينا محمد ﷺ لكل من هو من أهل الجنة، وإن كان صاحب الكبيرة.

وعائشة - رضي الله عنها - بعد خديجة الكبرى أفضل نساء العالمين، وأم المؤمنين، ومطهرة من الزنى بريئة عما قال الروافض، فمن شهد عليها بالزنى فهو ولد الزنى.

وأهل الجنة في الجنة خالدون، وأهل النار في النار خالدون، لقوله تعالى في حق المؤمنين:... ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٤٢ ﴾ [5] [الأعراف: ٤٢]، وفي حق الكفار:... ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٣٩ ﴾ [6] [البقرة: ٣٩]، والله تعالى أعلم.

---

(١) سورة الإسراء آية : ١٤ .

(٢) سورة الحج آية : ٧ .

(٣) يعني : لا نعلمهما ، وإلا فله كيفية .

(٤) لعله يقصد الجهة ، وفيها تفصيل .

(٥) سورة الأعراف آية : ٤٢ .

(٦) سورة البقرة آية : ٣٩ .

مقتطفات مما نقل عن الإمام مالك

الإمام مالك: [١]

قال الإمام مالك - رحمه الله تعالى -: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، وبعضه أفضل من بعض.

وسئل عن الإيمان فقال: قول وعمل. قيل: أيزيد وينقص؟ قال: قد ذكر الله سبحانه في غير آيٍ من القرآن أن الإيمان يزيد، فقيل: أينقص؟ قال: دع الكلام في نقصانه وكُفّ عنه، فقيل: فبعضه أفضل من بعض؟ قال: نعم [٢].

وكان يقول: القرآن كلام الله، وكلام الله من الله، وليس من الله شيء مخلوق، ومن قال: القرآن مخلوق، فهو كافر، والذي يقف، أشد منه، يُستتاب وإلا ضُربت عنقه [٣].

وسأله أبو السمح قال: أيرى الله يوم القيامة؟ فقال: نعم، يقول الله ﷻ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾ [٤] [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقال لقومٍ آخرين: ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ﴾ [٥] [المطففين: ١٥] [٦].

وسأله الوليد بن مسلم عن هذه الأحاديث التي فيها ذكر الرؤية فقال: أمِرّوها كما جاءت بلا كيف [٧].

(١) مالك بن أنس بن مالك ، أبو عبد الله الأصبحي الحميري ، إمام دار الهجرة ، توفي في المدينة المنورة سنة (١٧٩هـ) . " سير أعلام النبلاء " : (٨ / ٤٣ - ١٢٠) .
(٢) " الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء " : (٣٣) .
(٣) " ترتيب المدارك " : (١ / ١٧٤) .
(٤) سورة القيامة آية : ٢٢ - ٢٣ .
(٥) سورة المطففين آية : ١٥ .
(٦) " الانتقاء " : (٣٦) .
(٧) " ترتيب المدارك " : (١ / ١٧٠ - ١٧١) ، و " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " : (١ / ٣٩٨) .
وانظر بعض أحاديث الرؤية في " حادي الأرواح " لابن القيم : (٢٩٦ - ٣٣٠) ، و " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز تحقيق د عبد الله التركي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط : (١ / ٢١٥ - ٢١٨) .

وقال له رجل مرةً: يا أبا عبد الله: ﴿ ٱلرَّحۡمَـٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ ﴾ [1] [طه: 5]، كيف استوى؟ فقال: الاستواء منه معلوم، والكيفُ منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالًا، أخرجوه عني [2].

وكان يقول: الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء [3].

وسُئِل الإمام مالك: مَنْ أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: أبو بكر، فقيل: ثم مَنْ؟ قال: عمر، قيل: ثم مَنْ؟ قال: عثمان، قيل: ثم؟ فقال: هاهنا وقف الناس، رسول الله ﷺ أمرَ أبا بكر على الصلاة، واختار أبو بكر عُمرَ، وجَعلها عمرُ إلى ستةٍ فاختاروا، فوقف الناس هاهنا [4].

وكان يقول: إن أهل السنة، الذين ليس لهم لقب يعرفون به؛ لا جَهْمي ولا قَدَري ولا رافضيّ.

وليس لمن سب أصحاب رسول الله ﷺ في الفيء حق، قد قسم الله الفيءَ على ثلاثة أصناف، فقال: ﴿ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمۡ ﴾ [5] [الحشر: 8]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَـٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾ [6]... [الحشر: 9]، وقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَـٰنِ ﴾ [7]... [الحشر: 10] وإنما الفَيْء لهؤلاء الثلاثة الأصناف [8].

---

(1) سورة طه آية : 5 .
(2) " الانتقاء " : (35) .
(3) " الانتقاء " : (35) .
(4) " ترتيب المدارك " : (1 / 175) .
(5) سورة الحشر آية : 8 .
(6) سورة الحشر آية : 9 .
(7) سورة الحشر آية : 10 .
(8) " الانتقاء " : (36) .

وقال: أهل الأهواء بئس القوم، لا يُسَلم عليهم واعتزالهم أحب إلي [1].

وكان رحمه الله كثيرًا ما يتمثل بقول الشاعر:

وخَـيُر أمـور الديـن مـا كانَ سُنةً وشـر الأمـور المُحدَثـاتُ البَدائعُ [2]

(١) نفس المصدر : (٣٤) .

(٢) نفس المصدر : (٣٧) .

مقتطفات مما نقل عن الإمام الشافعي

الإمام الشافعي: [١].

قال الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى -: " الإيمان قول وعمل، ويزيد وينقص.

وسأله رجل: أي الأعمال عند الله أفضل؟ فقال ما لا يقبل عملًا إلا به. قال: وما ذاك؟ قال: الإيمان بالله الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة، وأشرفها م لة، وأسناها حظًا، قال الرجل: ألا تخبرني عن الإيمان؛ قول وعمل أو قول بلا عمل؟

فقال: الإيمان عمل لله، والقول بعض ذلك العمل.

وإن الإيمان حالات ودرجات وطبقات، فمنها التام المنتهي تمامُه، والناقص البّين نقصانُه، والراجح الزائد رجحانُه.

فقال الرجل: وإن الإيمان ليتمّ وينقص ويزيد؟

قال الشافعي: نعم.

قال: وما الدليل على ذلك؟

قال: إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها، وفرقه عليها، فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وُكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرضٍ من الله تعالى.

فمن لقي الله حافظًا لصلواته حافظًا لجوارحه، مؤديًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها، لقي الله مستكملَ الإيمان من أهل الجنة.

ومن كان لشيءٍ منها تاركًا متعمدًا، مما أمر الله به لقي الله ناقص الإيمان.

قال الرجل: قد عرفت نقصانه وإتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟

فقال الشافعي: قال الله جل ذكره: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَـٰنًا ﴾ [٢]

---

(١) محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان ، أبو عبد الله الهاشمي القرشي ، أحد الأئمة الأربعة ، توفي في القاهرة سنة (٢٠٤ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (١٠ / ٥ - ٩٩) .

(٢) سورة التوبة آية : ١٢٤ .

[التوبة: ١٢٤].

ولو كان هذا الإيمان كله واحدًا لا نقصان فيه ولا زيادة، لم يكن لأحدٍ فيه فضل، واستوى الناس وبطل التفضيل.

ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة.

وبالزيادة في الإيمان تفاضَل المؤمنون بالدرجات عند الله في الجنة.

وبالنقصان من الإيمان دخل المُفرطون النار [١].

وقال - رحمه الله تعالى - في قوله ﷻ ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥ ﴾ [٢] [المطففين: ١٥]:

هذا دليل على أن أولياءَه يرونه يوم القيامة، فلما حجبهم بالسخط، كان هذا دليلًا على أنهم يرونه في الرضا [٣].

وقال: لله أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيّه ﷺ أُمّته، لا يَسَع أحدًا قامت عليه الحجة رَدّها، لأن القرآن نزل بها، وصَح عن رسول الله ﷺ القول بها، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه؛ فهو كافر، فأما قبل ثبوت الحجة فمعذور بالجهل؛ لأن علم ذلك لا يُدرَكُ بالعقل، ولا بالروية والفِكر. ولا نُكفر بالجهل بها أحدًا إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها.

ونُثبتُ هذه الصفات وننفي عنها التشبيه كما نَفاه عن نفسه، فقال: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١ ﴾ [٤] [٥] [الشورى: ١١].

(١) " مناقب الشافعي " للبيهقي : (١ / ٣٨٧ - ٣٩٣) .
(٢) سورة المطففين آية : ١٥ .
(٣) نفس المصدر : (١ / ٤٢٠) .
(٤) سورة الشورى آية : ١١ .
(٥) " سير أعلام النبلاء " : (١٠ / ٧٩ - ٨٠) .

والقرآن كلام الله تعالى غير مخلوق [1] ومشيئةُ العباد هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤون إلا أنْ يشاء الله رب العالمين، فإن الناس لم يخلقوا أعمالهم، وهي خَلقٌ مِنْ خَلْقِ الله تعالى، وإن القدرَ خيرَه وشرّه من الله ﷻ وإن عذابَ القبر حق، ومُساءَلَةَ أهل القبور حق، والبعثَ حق، والحسابَ حق، والجنة والنار، وغير ذلك مما جاءت به السنن فظهر على ألسنة العلماء وأتباعهم من بلاد المسلمين، حق [2]. وأفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضوان الله عليهم. [3].

وقد أثنى الله على أصحاب رسول الله ﷺ في القرآن، وسبق لهم على لسان رسول الله ﷺ من الفضل ما ليس لأحدٍ بعدهم، وهم أدّوا إلينا سنن رسول الله ﷺ وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله ﷺ عاما وخاصا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علمٍ واجتهاد، وآراؤهم لنا أحمد، وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا [4].

ولا يَلْزَمُ قولٌ بكل حالٍ إلا بكتاب الله أو سنة رسوله ﷺ وإن ما سواهما تبعٌ لهما، وكلّ مُتكلمٍ على الكتاب والسنة فهو الحد الذي يجب، وكل متكلمٍ على غير أصل كتابٍ ولا سُنة فهو هَذَيان، والله أعلم " [5].

---

(١) " مناقب الشافعي " : (١ / ٤٠٧) .

(٢) نفس المصدر : (١ / ٤١٥) .

(٣) نفس المصدر : (١ / ٤٣٣) .

(٤) نفس المصدر : (١ / ٤٤٢) .

(٥) نفس المصدر : (١ / ٤٧٠ ، ٤٧٥) .

مقتطفات مما نقل عن الإمام أحمد بن حنبل

الإمام أحمد بن محمد بن حنبل: (١)

قال الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله تعالى: (٢)

" أصول السنةِ عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة، وترك الخصومات، والجلوس مع أصحاب الأهواء، وترك المراء والجدال، والخصومات في الدين.

والسنة عندنا: آثار رسول الله ﷺ.

والسنة تفسر القرآن، وهي دلائل القرآن.

ومن السنة اللازمة التي مَن ترك منها خصلة لم يَقبلها ويؤمن بها، لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها، لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق بها والإيمان بها.

ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله، فقد كُفي ذلك وأحكم له، فعليه الإيمان به، والتسليم له، مثل حَديث الصادق المصدوق (٣) وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها، وإن َنبت عن الأسماع، واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها، وألا

---

(١) أحمد بن محمد بن حنبل ، أبو عبد الله الشيباني ، أحد الأئمة الأربعة ، توفي ببغداد سنة (٢٤١ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (١١ / ١٧٧ - ٣٥٧) .

(٢) انظر : " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي : (١ / ١٥٦ - ١٦٤) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب القدر ، باب في القدر : (٦٥٩٤) ، ومسلم في كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه . . . : (٢٦٤٣) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب في القدر : (٤٧٠٨) ، والترمذي في كتاب القدر ، باب ما جاء في أن الأعمال بالخواتيم : (٢١٣٧) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب في القدر : (٧٦) ، من حديث عبد الله بن مسعود ، قال : حدثنا رسول الله وهو الصادق المصدوق : "إن أحدَكُم يُجمع خَلقُهُ في بطن أمه أربعين يوما ، ثم يكون في ذلك عَلقةً مثل ذلك ، ثم يكون في ذلك مُضغةً مثل ذلك ، ثم يُرسل الملَك فَينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد . فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل النار ، فيدخلها . وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار ، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فَيسبق عليه الكتاب ، فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها " .

يرد منها حَرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات.

وأن لا يخاصم أحدًا ولا يُناظره، ولا يتعلم الجدل، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن، وغيرها من السنن، مكروه منهي عنه، ولا يكون صاحبه إن أصاب بكلامه السنة: من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم، ويؤمن بالآثار.

والقرآن كلام الله، وليسَ بمخلوق، ولا تضعف أن تقول: ليس بمخلوق، فإن كلام الله منه، وليس منه شيء مخلوق، وإياك ومناظرة من أحدث فيه، ومن قال باللفظ وغيره، ومن وقف فيه، فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق، وإنما هو كلام الله، وليس بمخلوق.

والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روي عن النبي ﷺ من الأحاديث الصحاح.

والإيمان بالميزان كما جاء، وتوزن أعمال العباد كما جاء في الأثر.

وأن الله تبارك وتعالى يكلم العباد يوم القيامة ليس بينهم وبينه ترجمان.

والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة ترد عليه أُمته، عرضه مثل طوله مَسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تُفتن في قبورها وتُسأل عن الإيمان، والإسلام، ومن ربه، ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير كيف شاء الله ﷻ وكيف أراد.

والإيمان بشفاعة النبي ﷺ وبقوم يخرجون بعدما احترقوا وصاروا فحمًا، فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة كما جاء في الأثر، كيف شاء الله، وكما شاء.

والإيمان أن المسيح الدجال خارج، مكتوب بين عَينيه: كافر، والأحاديث التي جاءت فيه، والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ابن مريم ينزل فيقتله بباب لُد.

والإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، كما جاء في الخبر: ﴿ أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا ﴾ (١) (٢).

---

(١) أبو داود السنة (٤٦٨٢) ، أحمد (٢/٢٥٠) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه : (٤٦٨٢) ، والترمذي في كتاب الرضاع ، باب حق المرأة على زوجها : (١١٦٢) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٢٥٠ ، ٤٧٢) ، وصححه ابن

وخيرُ هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان، نقدم هؤلاء الثلاثة، كما قدمهم أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا في ذلك.

ثم بعد هؤلاء الثلاثة أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد، كلهم يصلح للخلافة، وكلهم إمام.

ثم من بعد أصحاب الشورى، أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ على قدر الهجرة والسابقة أولًا فأول.

ثم أفضل الناس بعد هؤلاء، أصحاب رسول الله ﷺ القرن الذي بعث فيهم.

كل من صحبه سنة، أو شهرا، أو يوما، أو ساعة، أو رآه ساعةً فهو من أصحابه، له من الصّحْبة على قدر ما صحبه، وكانت سابقته معه، وسمع منه، ونظر إليه.

فأدناهم صحبة هو أفضل من القَرن الذين لم يروه ولو لقوا الله بجميع الأعمال.

كان هؤلاء الذين صحبوا النبي ﷺ ورأوه وسمعوا منه.

ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة [1] أفضل بصحبته من التابعين ولو عملوا كل أعمال الخير.

والسمع والطاعة للأئمة.

وأمير المؤمنين، البّر والفاجر، من ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسُمي أمير المؤمنين.

والغزو ماضٍ مع الأمراء إلى يوم القيامة، البّر والفاجر لا يترك.

وقسمة الفَيء، وإقامة الحدود إلى الأئمة ماضٍ ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة ونافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه، برًا كان أو فاجرًا.

حبان في كتاب البر والإحسان ، باب حسن الخلق : (٤١٧٦) ، والحاكم في كتاب الإيمان : (١ / ٣) ، ووافقه الذهبي .

(١) المقصود : أي رآه ولو ساعة .

وصلاة الجُمعة خلفه وخلف من ولي جائزة تامة، ركعتان من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنة، ليس له من فضل الجمعة شيء إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا، برهم وفاجرهم، فالسنة أن تصلي معهم ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، وتدين بأنا تامة ولا يكن في صدرك من ذلك شك.

ومن خرج على إمام المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة، بأي وجه كان، بالرضى أو بالغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه، مات ميتة جاهلية.

ولا يَحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحدٍ من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق.

ولا يشهد على أهل القبلة بعمل يعمله بجنةٍ ولا نار، يرجو للصالح ويخاف عليه، ويخاف على المسيء المذنب ويرجو له رحمة الله.

ومن لقي الله بذنب تجب له به النار، تائبًا غير مُصِر عليه، فإن الله ﷻ يتوب عليه، ويقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

ومن لقيه وقد أقيم عليه حدّ ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته كما جاء الخبر عن رسول الله ﷺ (١).

ومن لقيه مُصرا غير تائب من الذنوب التي قد استوجبت بها العقوبة، فأمره إلى الله ﷻ إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، ومن لقيه كافرًا عذّبه ولم يَغفر له.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب علامة الإيمان حب الأنصار : (١٨) ، ومسلم في كتاب الحدود ، باب الحدود كفارات لأهلها : (١٧٠٩) ، والترمذي في كتاب الحدود ، باب ما جاء أن الحدود كفارةٌ لأهلها : (١٤٣٩) ، والنسائي في كتاب البيعة ، باب البيعة على فراق المشرك : (٤١٧٨) ، وأحمد في مسنده : (٥ / ٣١٤ ، ٣٢٠) ، والدارمي في كتاب السير ، باب في بيعة النبي (٢٤٥٧) ، عن عبادة بن الصامت قال : كنا مع رسول الله في مجلس فقال : " بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئًا ، ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ، ولا تقتلوا أولادكم ، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، ولا تعصوا في معروف ، فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له ، ومن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره الله ، فهو إلى الله؛ إن شاء عفا عنه ، وإن شاء عاقبه " ، فبايعناه على ذلك . (واللفظ للبخاري) .

والرجم حق على من زنى وقد أُحصن إذا اعترف، أو قامت عليه بينة. وقد رجم رسول الله ﷺ وقد رَجم الأئمة الراشدون.

ومن انتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدثٍ كان منه، أو ذكر مساوئه، كان مبتدعًا حتى يترحم عليهم جميعًا ويكون قلبه لهم سليمًا.

والنفاق هو الكفر، أن يكفر بالله، ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية، مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ.

وهذه الأحاديث التي جاءت نرويها كما جاءت ولا نفسرها.

مثل: ﴿ لا َترجعوا بعدي كفاراً َيضرب بعضكم رقابَ بعض ﴾ [(١)] [(٢)].

ومثل: ﴿ إذا التَقى المسلمان بسيفيهما فالقاِتل والمَقتول في النار ﴾ [(٣)] [(٤)].

ومثل: ﴿ سباب المسلم فُسوق وقِتاله كفر ﴾ [(٥)] [(٦)].

---

(١) البخاري الأدب (٥٨١٤) ، مسلم الإيمان (٦٦) ، النسائي تحريم الدم (٤١٢٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٣) .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له ، في كتاب الأدب ، باب ما جاء في قول الرجل " ويلك " : (٦١٦٦) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان معنى قول النبي " لا ترجعوا بعدي كفارًا . . "إلخ : (٦٦) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه : (٤٦٨٦) ، والنسائي في كتاب تحريم الدم ، باب تحريم القتل : (٤١٢٥) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٨٥ ، ٨٧ ، ١٠٤) .

(٣) البخاري الإيمان (٣١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٨) ، النسائي تحريم الدم (٤١٢٢) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٦٨) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٦٥) ، أحمد (٥١/٥) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا . . .) : (٣١) ، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ، باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما : (٢٨٨٨) .

(٥) البخاري الإيمان (٤٨) ، مسلم الإيمان (٦٤) ، الترمذي البر والصلة (١٩٨٣) ، النسائي تحريم الدم (٤١٠٨) ، ابن ماجه المقدمة (٦٩) ، أحمد (٣٨٥/١) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب خوف المؤمن . . . إلخ : (٤٨) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب قول النبي " سباب المسلم . . "إلخ : (٦٤) ، والترمذي في كتاب البر والصلة ، باب ما جاء في الشتم : (١٩٨٣) ، والنسائي في كتاب تحريم الدم ، باب قتال المسلم : (٤١٠٥) .

ومثل: ﴿ أيما رجل قال لأخيه: يا كافر فقد باءَ با أحَدهما ﴾ [1] [2].

ومثل: ﴿ ... كُفْرٌ بالله تَبرؤٌ من نَسَب وإنْ دَقّ ﴾ [3] [4].

ونحوه من الأحاديث مما قد صح وحُفظ، فإنا نسلم له، وإن لم يعلم تفسيرها، ولا يتكلم فيه، ولا يجادل فيه، ولا نُفسر هذه الأحاديث إلا مثل ما جاءت ولا نردها إلا بأحقّ منها.

والجنة والنار مخلوقان قد خُلِقتا كما جاء عن رسول الله ﷺ فمن زعم أنما لم تخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلى عليه، ويستغفر له، ولا تترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، وأمره إلى الله ﷻ " [5].

---

(١) البخاري الأدب (٥٧٥٣) ، مسلم الإيمان (٦٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٧) ، أبو داود السنة (٤٦٨٧) ، أحمد (١١٣/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٤) .

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأدب ، باب من أكفر أخاه . . إلخ : (٦١٠٤) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب بيان حال إيمان من قال لأخيه : يا كافر : (٦٠) .

(٣) الدارمي الفرائض (٢٨٦١) .

(٤) رواه الدارمي في كتاب الفرائض ، باب من ادعى إلى غير أبيه : (٢٨٦٤) ، وأبو بكر المروزي في " مسند أبي بكر الصديق " برقم : (٩٠) ، وأورده الهيثمي في " مجمع الزوائد " ، كتاب الإيمان ، باب فيمن ادعى غير نسبه . . . إلخ : (١ / ٩٧) .

(٥) " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " للالكائي : (١ / ١٥٦ - ١٦٤) .

مقتطفات مما نقل عن الإمام البخاري

الإمام البخاري: (١)

قال الإمام البخاري رحمه الله تعالى: (٢)

" لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم: أهل الحجاز، ومكة، والمدينة، والكوفة، والبصرة، وواسط، وبغداد، والشام، ومصر، لقيتهم كرّات، قرنًا بعد قرن، ثم قرنًا بعد قرن، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ستَ وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين، والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد، بالحجاز ستة أعوام، ولا أحصي كم دخلتُ الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان منهم: المكي بن إبراهيم، ويَحيى بن يَحيى، وعلي بن الحسن بن شقيق، وقُتيبة بن سعيد، وشهاب بن معمر.

وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي، وأبا مُسهر عبد الأعلى بن مسهر، وأبا المغيرة عبد القُدوس بن الحجاج، وأبا اليَمان الحكم بن نافع ومن بعدهم عدة كثيرة.

ومصر: يحيى بن كثير، وأبا صالح كاتب الليث بن سعد، وسعيد بن أبي مريم، وأصبغ بن الفرج، ونُعيم بن حَماد.

ومكة: عبد الله بن يزيد المقرئ، والحُميدي، وسليمان بن حرب قاضي مكة، وأحمد بن محمد الأزرقي.

وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس، ومطرف بن عبد الله، وعبد الله بن نافع الزبيري، وأحمد بن أبي بكر أبا مصعب الزهري، وإبراهيم بن حمزة الزبيري، وإبراهيم بن المنذر الحزامي.

وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مَخلد الشيباني، وأبا الوليد هشام بن عبد الملك، والحجاج بن المنهال، وعلي بن عبد الله بن جعفر المديني.

---

(١) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم ، أبو عبد الله البخاري الحافظ ، صاحب " الجامع الصحيح " ، توفي سنة (٢٥٦ هـ) في إحدى قرى سمرقند . " سير أعلام النبلاء " للذهبي : (١٢ / ٣٩١ - ٤٧١) .

(٢) " شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة " : للالكائي (١ / ١٧٢ - ١٧٦) .

وبالكوفة: أبا نُعيم الفضل بن دُكين، وعبد الله بن موسى، وأحمد بن يونس، وقبيصة بن عقبة، وابن نمير، وعبد الله وعثمان ابني أبي شيبة.

وببغداد: أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأبا معمر، وأبا خيثمة، وأبا عُبيد القاسم بن سلام.

ومن أهل الجزيرة: عمرو بن خالد الحراني.

وبواسط: عمرو بن عون، وعاصم بن علي عاصم.

وبمرو: صدقة بن الفضل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصرا، وألا يطول ذلك.

فما رأيت واحدا من هؤلاء مختلف في هذه الأشياء:

أن الدين قول وعمل، وذلك لقول الله: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ۝٥ ﴾ [1] [البينة: ٥].

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتِۭ بِأَمۡرِهِۦٓۗ ﴾ [2] [الأعراف: ٥٤].

قال أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: قال ابن عيينة: فبين الله الخلق من الأمر بقوله: ﴿ أَلَا لَهُ ٱلۡخَلۡقُ وَٱلۡأَمۡرُۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٥٤ ﴾ [3] [الأعراف: ٥٤].

---

(١) سورة البينة آية : ٥ .

(٢) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

وأن الخير والشر بقدر، لقوله: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ ﴾ (١) [الفلق: ١، ٢]، ولقوله: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝ ﴾ (٢) [الصافات: ٩٦]، ولقوله: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝ ﴾ (٣) [القمر: ٤٩].

ولم يكونوا يُكفرون أحدًا من أهل القبلة بالذنب، لقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ۝ ﴾ (٤) [النساء: ٤٨].

وما رأيتُ فيهم أحدًا يتناول أصحابَ محمد ﷺ قالت عائشة: " أمروا أن يستغفروا لهم "، وذلك قوله: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ (٥) [الحشر: ١٠].

وكانوا ينهون عن البدع مما لم يكن عليه النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، لقوله: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ ﴾ (٦) [آل عمران: ١٠٣]، ولقوله: ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ ﴾ (٧) [النور: ٥٤].

وَيحثّون على ما كان عليه النبي ﷺ لقوله: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ ﴾ (٨) [الأنعام:

---

(١) سورة الفلق آية : ١- ٢ .
(٢) سورة الصافات آية : ٩٦ .
(٣) سورة القمر آية : ٤٩ .
(٤) سورة النساء آية : ٤٨ .
(٥) سورة الحشر آية : ١٠ .
(٦) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٧) سورة النور آية : ٥٤ .
(٨) سورة الأنعام آية : ١٥٣ .

.[١٥٣

وألا ُننازع الأمر أهله، لقول النبي ﷺ: ﴿ ثلاث لا يغل عليهن قلب امرئ مسلمٍ: ـإخلاص العمل لله، وطاعة ولاة الأمر، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتم تحيط مَن وَرائهم ﴾ [١] [٢]. ثم أكد في قوله: ﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ [٣] [النساء: ٥٩].

وألا ُيرى السيف على أمة محمد ﷺ.

وقال الفضيل: " لو كانت لي دعوة مستجابةٌ لم أجعلها ـإلا في ـإمام، لأنه ـإذا صلح الإِمام أمن البلاد والعباد " [٤].

---

(١) ابن ماجه المقدمة (٢٣٠) ، أحمد (١٨٣/٥) ، الدارمي المقدمة (٢٢٩) .

(٢) هو في " مسند الإمام أحمد " (٥ / ١٨٣) ، ولفظه في المسند : " . . . ثلاث خصال لا يغل عليهن قلب مسلم أبدًا ، ـإخلاص العمل لله ، ومناصحة ولاة الأمر ، ولزوم الجماعة ، فإن دعوتم تحيط من ورائهم . . . " من حديث زيد بن ثابت " الترغيب والترهيب " للمنذري ، باب الترغيب في الإخلاص والصدق . . إلخ : (١ / ٢٣) ، " مسند الشافعي " : ص (٢٤٠) ، " مجمع الزوائد " للهيثمي : كتاب العلم ، باب في سماع الحديث وتبليغه : (١ / ١٣٧) .

(٣) سورة النساء آية : ٥٩ .

(٤) " شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، الجماعة " للالكائي : (١ / ١٧٢ - ١٧٦) .

مقتطفات مما نقل عن الإمام أبي جعفر الطحاوي

الإمام أبو جعفر الطحاوي الحنفي: [١]

يقول الإمام أبو جعفر الطحاوي - رحمه الله تعالى - في أول رسالته عن العقيدة المنجية:

" هذا ذكر بيان اعتقاد أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، رضي الله عنهم أجمعين. وما يعتقدون في أصول الدين، وما يدينون به لرب العالمين.

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله تبارك اسمه، وتعالى جدّه، وجل ثناؤه، واحدٌ لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديمٌ بلا ابتداء، دائمٌ بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكونُ إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبه الأنام، حَيّ لا يموت، قيّوم لا ينام... ".

وقال:

" وإن القرآن كلام الله، منه بدأ بلا كيفية، قولًا، وأنزله على رسوله وحيًا، وصدقه المؤمنون على ذلك حقًا، وأيقنوا أنه كلامُ الله تعالى بالحقيقة، ليس بمخلوقٍ ككلامِ البريَة. فمن سمعه، فزعم أنه كلام البشر، فقد كفر...، ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر، فقد كفر، فمن أبصر هذا اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله بصفاته ليس كالبشر...، والرؤية حقّ لأهل الجنة، بغير إحاطةٍ ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا:

﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [٢] [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلِمَه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح

---

(١) أحمد بن محمد بن سلامة المصري ، أبو جعفر الطحاوي ، انتهت إليه رياسة الحنفية بمصر ، وله التصانيف الكثيرة ، توفي بالقاهرة سنة (٣٢١ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (١٥ / ٢٧ - ٣٢) .

(٢) سورة القيامة آية : ٢٢ - ٢٣ .

عن رسول الله ﷺ فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك مُتأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عز وجل ولرسوله ﷺ ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه... " إلى آخر ما نصتْ عليه الطَحاوية [١]

(١) " متن العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز الحنفي ص : (٧) .

مقتطفات مما نقل عن الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي

الإمام ابن أبي زيد القيرواني المالكي: (١)

قال ابن أبي زَيد القيرواني المالكي - رحمه الله تعالى - تحت باب: " ما تَنطقُ به الألسنةُ، وتعتقِدُهُ الأفئدةُ من واجب أُمورِ الدياناتِ ":

" من ذلك: الإيمان بالقلب، والنطق باللسان:

أن الله إِلهٌ واحدٌ لا إِله غيرُه، ولا شبيه له، ولا نظير له، ولا ولد له، ولا والد له، ولا صاحبةَ له، ولا شريك له، ليس لأوليتِهِ ابتداءٌ، ولا لآخريتِهِ انقضاءٌ، لا يبلغُ كنه صفَتِهِ الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون، يعتبر المفكرون بآياته، ولا يتفكرون في ماهية ذاته:

﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٢) [البقرة: ٢٥٥].

العالم الخبير، المدبر القَدير، السميع البصير، العلي الكبير.

وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه.

خلق الإِنسان ويعلم ما تُوسوسُ به نفسه وهو أقرب إِليه من حبل الوريد:

﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (٣) [الأنعام: ٥٩].

على العرش استوى، وعلى الملك احتوى (٤).

وله الأسماءُ الحُسنى، والصفاتُ العُلا، لم يَزل بجميع صفاته وأسمائه، تعالى أن تكون صفاتُهُ مَخلوقةً، وأسماؤه مُحدثَةً.

---

(١) عبد الله بن عبد الرحمن القيرواني النفزاوي ، أبو محمد ، فقيه من أعيان القيروان ، كان إمام المالكية في عصره ، من أشهر كتبه : " الرسالة " ، توفى سنة (٣٨٦) ، " سير أعلام النبلاء " : (١٧ / ١٠ - ١٣) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .

(٣) سورة الأنعام آية : ٥٩ .

(٤) يعني : ملكه ودبره وسخره .

كلم موسى بكلامه الذي هو صفةُ ذاتِه، لا خلقٌ من خَلقِه، وتجلّى للجبل فصَار دكًا من جلاله.

وأن القرآن كلام الله، ليس بمخلوقٍ فَيبيد، ولا صِفَةً مخلوق فَيَنْفَد.

والإيمانُ بالقدرِ: خيرِهِ وشرِهِ، حُلوه ومُرّه. وكل ذلك قَدرُهُ الله ربّنا، ومقاديرُ الأمور بيده، ومصدَرها عن قضائه، عَلِمَ كُل شيءٍ قبل كونِهِ، فَجَرى على قدرِه، لا يكونُ مِن عباده قولٌ ولا عملٌ إلاّ وقد قضاهُ وسبق علْمُه به:

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (1) [الملك: ١٤].

يضل من يشاء فيخذُلُه بعدِله، ويهدي من يشاءَ فَيوفقه بفضله، فكل مُيسرٌ بتيسيره إلى ما سَبقَ من عِلمِهِ وقدره من شَقيٍ أو سعيدٍ.

تعالى أن يكون في مُلكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غِنى، أو يكونَ خالقٌ لشيءٍ إلاّ هُوَ، رب العبادِ، ورب أعمالِهم، والمقدر لحركاتهم وآجالهم، الباعث الرّسل إليهم لإقامة الحُجةِ عليهم، ثم ختم الرسالةَ والنذارةَ والنبوةَ بمحمدٍ نَبيه ﷺ فجعلهُ آخرَ المرسلينَ بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسِراجًا مُنيرًا، وأنزل عليه كتابه الحكيم، وشَرَحَ به دينه القويم، وهدى به إلى الصراط المستقيم.

وأن الساعة آتيةٌ لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعودون.

وأن الله سُبحانَهُ ضاعفَ لعبادِهِ المؤمنينَ الحسنات، وصَفَحَ لهم بالتوبة عن كبائر السيئات، وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر، وجعل من لم يتب من الكبائر صائرًا إلى مشيئته:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ﴾ (2) [النساء: ٤٨].

ومن عاقَبهُ الله بنارِهِ، أخرجه منها بإيمانه، فأدخله به جنته:

---

(١) سورة الملك آية : ١٤ .

(٢) سورة النساء آية : ٤٨ .

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴾[1] [الزلزلة: ٧].

وَيَخْرُجُ منها بشفاعةِ النبي ﷺ من شَفَعَ له من أهل الكبائِرِ من أمته.

وأن الله سبحانه قد خلق الجنة، فأعدها دار خُلُودٍ لأوليائِهِ، وأكرمَهم فيها بالنظرِ إلى وجهِهِ الكريم، وهي التي أهبط منها آدم نبيَّهُ وخليفَتَهُ إلى أرضِهِ، بما سَبق في سابق علمه.

وخلق النار، فأعدها دار خلودٍ لمن كَفَرَ به وألحَدَ في آياته وكتبه ورسله، وجعلهم محجوبين عن رؤيته.

وأن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والمَلَكُ صفّا صفّا، لعرض الأمم وحسَابها وعُقُوبَتها وثَوَابها.

وتوضع الموازين لوزن أعمال العباد:

﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2] [الأعراف: ٨].

ويؤتون صحائفهم بأعمالهم:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾[3] [الانشقاق: ٧، ٨]، ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴾[4] [الانشقاق: ١٠ - ١٢].

وأن الصراط حقّ يجوزه العباد بقدر أعمالهم، فناجون متفاوتون في سرعة النجاة عليه من نار جهنم، وقوم أوبقتهم فيها أعمالهم.

والإيمان بحوض رسول الله ﷺ ترده أمته، لا يظمأ من شرب منه، ويُذاد عنه من بَدل وغَير.

---

(١) سورة الزلزلة آية : ٧ .
(٢) سورة الأعراف آية : ٨ .
(٣) سورة الانشقاق آية : ٧- ٨ .
(٤) سورة الانشقاق آية : ١٠ - ١٢ .

وأن الإيمان قول باللسان، وإخلاص بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بزيادة الأعمال، وينقص بنقصها، فيكون بها النقص، وبها الزيادة.

ولا يكمل قول الإيمان إلا بعمل، ولا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول وعمل ونية إلا بموافقة السّنة.

وأنه لا يُكفر أحد بذنب من أهل القِبْلَة.

وأن الشهداء أحياء عند ربهم يُرزقون.

وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون، وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم الدين.

وأن المؤمنين يفتنون في قُبورهم ويُسألون:

﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾ (١) [إبراهيم: ٢٧].

وأن على العباد حَفَظَةً يكتبون أعمالهم، ولا يسقط شيء من ذلك من علم ربهم.

وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن ربه.

وأن خير القرون الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم.

وأفضل الصحابة: الخلفاء الراشدون المهدّيون: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي - رضي الله عنهم - أجمعين.

وألا يُذكر أحد من صحابة الرسول ﷺ إلا بأحسن ذكر، والإمساك عما شَجر بينهم، وأنهم أحق الناس أن يلتمس لهم المخارج، ويظن بهم أحسن المذاهب.

والطاعة لأئمة المسلمين من ولاة أمورهم وعلمائهم، واتباع السلف الصالح، واقتفاء آثارهم، والاستغفار لهم.

وترك المراء والجدال في الدين، وترك ما أحدثه المحدثون " (٢).

---

(١) سورة إبراهيم آية : ٢٧ .

(٢) " الثمر الداني في تقريب المعاني " ، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني : ص (٩ - ٢٤) بتصرف .

مقتطفات مما نقل عن الإمام ابن تيمية

الإمام ابن تيمية: [1]

ومن الأئمة الأعلام، الذين وَفقهم الله تعالى لندب أنفسهم للدعوة للتوحيد الخالص، ونصرة العقيدة المنجية، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله -.

يبتدر ابن تيمية القول ليبين المنهج الحق في الاعتقاد الصحيح، وذلك بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

يقول - رحمه الله -: [2]

" فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة، وهو: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر: خيره وشرّه.

ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وَصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تَحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تَمثيل، بل يؤمنون بأن الله سبحانه: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾ [3] [الشورى: ١١].

وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسَمّى به نفسه بين النفي والإثبات.

فلا عدول لأهل السنة والجماعة عما جاء به المرسلون، فإنه الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين، والصديقين والشهداء والصالحين.

وقد دخل في هذه الجملة ما وصف به نفسه في سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن، حيث يقول: ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ٢ لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ٣ وَلَمۡ يَكُن

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني الدمشقي ، أبو العباس ابن تيمية ، شيخ الإسلام ، وإمام الأئمة الأعلام الغني عن التعريف . توفي سنة (٧٢٨ هـ) بدمشق .
(٢) انظر " مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية " : (٣ / ١٢٩) وما بعدها .
(٣) سورة الشورى آية : ١١ .

لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[1].

وما وصف به نفسه في أعظم آيةٍ في كتابه، حيث يقول:

﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾[2] [البقرة: ٢٥٥].

ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يَقْرَبه شيطان حتى يصبح.

وقوله سبحانه: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ ﴾[3] [الفرقان: ٥٨].

وقوله سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾[4] [الحديد: ٣].

وقوله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾[5] [لقمان: ٣٤].

وقوله: ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ ﴾[6] [سبأ: ٢].

وقوله: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن

(١) سورة الإخلاص كلها .
(٢) سورة البقرة آية : ٢٥٥ .
(٣) سورة الفرقان آية : ٥٨ .
(٤) سورة الحديد آية : ٣ .
(٥) سورة لقمان آية : ٣٤ .
(٦) سورة سبأ آية : ٢ .

وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا وَلَا حَبَّةٖ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡأَرۡضِ وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[1]
[الأنعام: ٥٩].

وقوله: ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾[2] [الشورى: ١١].

وقوله: ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ﴾[3] [المائدة: ١١٩].

وقوله: ﴿ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلۡأَرۡضُ دَكّٗا دَكّٗا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ﴿٢٢﴾ ﴾[4]
[الفجر: ٢١، ٢٢].

وقوله: ﴿ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ ﴾[5] [الرحمن: ٢٧].

وقوله: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ ﴾[6] [ص: ٧٥].

وقوله: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ﴾[7] [الطور: ٤٨].

وقوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾[8] [طه: ٥].

وقوله: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى
ٱلۡعَرۡشِ ﴾[9] [الأعراف: ٥٤].

---

(١) سورة الأنعام آية : ٥٩ .
(٢) سورة الشورى آية : ١١ .
(٣) سورة المائدة آية : ١١٩ .
(٤) سورة الفجر آية : ٢١ - ٢٢ .
(٥) سورة الرحمن آية : ٢٧ .
(٦) سورة ص آية : ٧٥ .
(٧) سورة الطور آية : ٤٨ .
(٨) سورة طه آية : ٥ .
(٩) سورة الأعراف آية : ٥٤ .

وقوله: ﴿ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ﴾ (١) [الكهف: ٢٧].

وقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ (٢) [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وهذا الباب في كتاب الله تعالى كثير، مَن تدبر القرآن طالبًا للهدى منه تبين له طريق الحق ".

وبعد الاعتصام بمنهج القرآن الكريم في تبيين الإيمان الحق، يُمَسكُ ابن تيمية - رحمه الله - المسلمين منهج السنة الذي يوضح مراد الله تعالى فيما يريده من عباده من إيمان واعتقاد.

يقول شيخ الإسلام:

" فالسنة تفسر القرآن وتُبينه، وتدل عليه، وتُعبر عنه، وما وصف الرسول ﷺ به ربه ﷻ من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول، وجب الإيمان بها كذلك.

مثل قوله ﷺ ﴿ ينْزل ربنا إلى السماءِ الدْنيا كل ليلة، حين يْبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يَدعوني، فأستجيب له؟ مَنْ يسألني، فأعطيه؟ من يَستغفرني، فأغفرَ له؟ ﴾ (٣) (٤).

---

(١) سورة الكهف آية : ٢٧ .

(٢) سورة القيامة آية : ٢٢ - ٢٣ .

(٣) البخاري التوحيد (٧٠٥٦) ، مسلم صلاة المسافرين وقصرها (٧٥٨) ، الترمذي الدعوات (٣٤٩٨) ، أبو داود الصلاة (١٣١٥) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (١٣٦٦) ، أحمد (٢/٢٦٥) ، مالك النداء للصلاة (٤٩٦) ، الدارمي الصلاة (١٤٧٩) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب التهجد ، باب الدعاء في الصلاة من آخر الليل . . . : (١١٤٥) ، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه : (٧٥٨) ، وأبو داود في كتاب السنة ، باب في الرد على الجهمية : (٤٧٣٣) ، والترمذي في كتاب الدعوات ، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد : (٣٤٩٨) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في أي ساعات الليل أفضل : (١٣٦٦) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٢٦٤ ، ٢٦٧) .

وقوله ﷺ ﴿ لله أشدّ فَرحًا بتوبةِ عبدِه من أحدِكم براحِلتِه ﴾ [1] [2].

وقَوله ﷺ ﴿ يَضحَكُ الله إلى رَجلينِ يَقتل أحدُهما الآخر، كِلاهما يَدخُلُ الجنة ﴾ [3] [4].

وقوله: ﴿ ألا تَأمنوني وأنا أمين مَنْ في السماء ﴾ [5] [6].

وقوله ﷺ للجارية: ﴿ أينَ الله؟ قالت: في السماء، قال: مَنْ أنا؟ قالت: أنتَ رسول الله، قال: أعِتقها فإنها مؤمِنةٌ ﴾ [7] [8].

---

(١) البخاري الدعوات (٥٩٤٩) ، مسلم التوبة (٢٧٤٤) ، الترمذي صفة القيامة والرقائق والورع (٢٤٩٨) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة ، باب في الحض على التوبة والفرح بها : (٢٧٤٦) من حديث البراء بن عازب ، وله طرق أخرى كثيرة .

(٣) البخاري الجهاد والسير (٢٦٧١) ، مسلم الإمارة (١٨٩٠) ، النسائي الجهاد (٣١٦٦) ، ابن ماجه المقدمة (١٩١) ، أحمد (٢/٤٦٤) ، مالك الجهاد (١٠٠٠) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب الكافر يقتل المسلم ثم يسلم . . . إلخ : (٢٨٢٦) ، ومسلم في كتاب الإمارة ، باب بيان الرجلين يقتل أحدهما الآخر . . . إلخ : (١٨٩٠) ، والنسائي في كتاب الجهاد ، باب اجتماع القاتل والمقتول . . . إلخ : (٣١٦٥) ، ومالك في كتاب الجهاد ، باب الشهداء في سبيل الله : (٩٩١) .

(٥) البخاري المغازي (٤٠٩٤) ، مسلم الزكاة (١٠٦٤) ، النسائي الزكاة (٢٥٧٨) ، أحمد (٣/٥) .

(٦) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى : (تعرج الملائكة . .) : (٧٤٣٢) ، ومسلم في كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتم : (١٠٦٤) ، وأحمد في مسنده : (٣ / ٤) .

(٧) مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٥٣٧) ، النسائي السهو (١٢١٨) ، أبو داود الصلاة (٩٣٠) .

(٨) أخرجه مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحريم الكلام في الصلاة . . . إلخ : (٥٣٧) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب تشميت العاطس . . . إلخ : (٩٣٠) ، والنسائي في كتاب السهو ، باب الكلام في الصلاة : (١٢١٨) ، وأحمد في مسنده : (٥ / ٤٤٧) .

وقوله ﷺ ﴿ أربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعونَ أصم ولا غائبًا، إنكم تدْعُون سَميعًا قَريبًا وهو معكم ﴾ [1] [2]

وقوله ﷺ ﴿ إنكم ستَرون ربكم كما تَرون هذا القمر لا تُضامون في رُؤيته، فإن استَطعْتم أن لا تُغلَبوا على صلاةٍ قبلَ طُلوعِ الشمَسِ، وقبلَ غُروبِها فافعلوا.. ﴾ [3] [4].

إلى أمثال هذه الأحاديث التي يُخبر فيها رسول الله ﷺ عن رَبه بما يخبر به " [5].

وفي هدي هذا المنهج العلمي اليقيني، ترسخ أصول العقيدة وتأتلف شعبها، ويتكامل ضياؤها.

يَقول شيخ الإسلام - رحمه الله -:

" ومن الإيمان بالله وملائكته وكتبه، الإيمان بأن القرآن كلام الله م ل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه بذلك في المصاحف لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله تعالى حقيقةً، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئًا، لا إلى من قاله مُبلغًا مؤديًا.

وهو كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف " [6].

---

(١) البخاري المغازي (٣٩٦٨) ، مسلم الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار (٢٧٠٤) ، الترمذي الدعوات (٣٣٧٤) ، أبو داود الصلاة (١٥٢٦) ، أحمد (٤٠٢/٤) .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة (١٧) .

(٣) البخاري مواقيت الصلاة (٥٢٩) ، مسلم المساجد ومواضع الصلاة (٦٣٣) ، الترمذي صفة الجنة (٢٥٥١) ، أبو داود السنة (٤٧٢٩) ، ابن ماجه المقدمة (١٧٧) ، أحمد (٣٦٠/٤) .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة (١٩) .

(٥) " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ١٢٩ - ١٤٠) .

(٦) المرجع السابق ص (١٤٤) .

وبعد أن تحدث عن الإيمان بأن المؤمنين يرون ربهم عيانًا بأبصارهم يوم القيامة، وعن الإيمان بفتنة القبر، وعذابه، ونعيمه، وعن الإيمان بالميزان، والحساب، والحوض المورود، والصراط المنصوب، والشفاعة، والجنة، والنار، وبالقدر خيره وشرّه، وباللوح المحفوظ، وبأن الله خلق أفعال العباد.

بعد أن تحدث عن الإيمان بذلك كله قال:

" ومن أصول أهل السنة والجماعة: أن الدين والإيمان قول وعمل؛ قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ومع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر، كما يفعله الخوارج، بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي، كما قال سبحانه وتعالى في آية القصاص:

﴿ فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [1] [البقرة: ١٧٨].

وقال: ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ [2] [الحجرات: ٩ ، ١٠].

ولا يسلبون الفاسق الملي اسم الإيمان بالكلية، ولا يخلدونه في النار كما تقول المعتزلة، بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان في مثل قوله تعالى: ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [3] [النساء: ٩٢].

ويقولون: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم.

---

(١) سورة البقرة آية : ١٧٨ .

(٢) سورة الحجرات آية : ٩ - ١٠ .

(٣) سورة النساء آية : ٩٢ .

ومن أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ كما وصفهم الله به في قوله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠ ﴾ (1) [الحشر: ١٠].

ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، فيفضلون من أنفق من قبل الفتح، وهو صلح الحديبية، وقاتل، على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: ﴿ اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم ﴾ (2).

وبأنه لا يدخل النار أحدٌ بايعَ تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ بل قد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.

ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كالعشرة، وكثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة.

ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ وعن غيره، من أن خير هذه الأمة بعد نبيها، أبو بكر، ثم عمر، ويُثلثون بعثمان، ويربعون بعلي - رضي الله عنهم - كما دلت عليه الآثار.

وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله.

ويُحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

(٢) البخاري الجهاد والسير (٢٨٤٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٩٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٥٠) ، أحمد (٨٠/١) .

قال يوم غدير خُم: ﴿ أذَكركم الله في أهل َبيتي، أذكركم الله في أهل َبيتي ﴾ [(١)] [(٢)].

ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنن أزواجه في الآخرة، خصوصًا خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره وكان لها منه الم لة العالية.

والصدّيقة بنت الصديق رضي الله عنهما، التي قال فيها النبي ﷺ

﴿ فَضل عائشة على النساء كفضل الثريدِ على سائر الطعام ﴾ [(٣)] [(٤)].

ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونم.

ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل.

ويمسكون عما شجر بين الصحابة.

ومن َنظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما َمن الله به عليهم من الفَضائل، علم يقينًا أنم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنم هم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله تعالى.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: التصديق بكرامات الأولياء، وما ُيجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، كالمأثور عن سالف الأمم في

---

(١) مسلم فضائل الصحابة (٢٤٠٨) ، أحمد (٣٦٧/٤) ، الدارمي فضائل القرآن (٣٣١٦) .

(٢) حديث غدير خم أخرجه أحمد في مسنده : (٥ / ٤١٩) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب فضل عليّ بن أبي طالب(١١٦) ، وجمع الهيثمي طرقه في " مجمع الزوائد " ، في كتاب المناقب ، باب قوله " من كنت مولاه فعلي مولاه " : (٩ / ١٠٣) ، وقوله : " أذكركم الله في أهل بيتي " ، لم يرد إلا عند ابن أبي عاصم في " السنة " برقم : (١٥٥١) .

(٣) البخاري المناقب (٣٥٥٩) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٤٦) ، الترمذي المناقب (٣٨٨٧) ، ابن ماجه الأطعمة (٣٢٨١) ، أحمد (١٥٦/٣) ، الدارمي الأطعمة (٢٠٦٩) .

(٤) رواه البخاري في كتاب المناقب ، باب فضل عائشة رضي الله عنها : (٣٧٦٩ ، ٣٧٧٠) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها : (٢٤٣١) ، وباب فضائل عائشة رضي الله عنها : (٢٤٤٦) ، والترمذي في كتاب الأطعمة ، باب ما جاء في فضل الثريد : (١٨٣٤) ، وأحمد في مسنده : (٦ / ١٥٩) .

سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة.

ثم من طريقة أهل السنة والجماعة: اتباع آثار رسول الله ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتباع وصية رسول الله ﷺ حيث قال:

﴿ عليكم بسُنتي وسُنة الخُلفاء الراشدين المَهديين من بَعدي، تَمسكوا با وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل مُحدَثةٍ بِدعةٌ، وكلّ بِدعةٍ ضلالة ﴾ [1] [2].

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخَير الهدي هدي محمد ﷺ ويُؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس. ويقدمون هَدْي محمد ﷺ على هدي كل أحد وبذا سموا أهل الكتاب والسنة.

وسُموا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الاجتماع، وضدّها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المتمعين.

والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين.

وهم يَزنون بذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين، والإجماع الذي ينضبط، هو: ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة " [3].

أثر المنهج في استقامة الاعتقاد وتوسطه

لصحة المنهج أثرها في استقامة الاعتقاد وتوسطه، فما من امرئ، أو ما من جماعة

(١) أبو داود السنة (٤٦٠٧) ، الدارمي المقدمة (٩٥) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب لزوم السّنة : (٤٦٠٩) ، والترمذي في كتاب العلم ، باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع : (٢٦٧٦) ، وابن ماجه في المقدمة ، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين : (٤٢) ، وأحمد في مسنده : (٤ / ١٢٦ ، ١٢٧) ، وابن حبان في المقدمة ، باب الاعتصام بالسنة : (٥) ، والحاكم في مستدركه بنحوه : (٣ / ٧٥) ، وصححه ووافقه الذهبي .

(٣) " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ١٥١ - ١٥٧) .

التزمت المنهج القويم في التلقي والفهم، إلا استقام اعتقادها واعتدل بتوفيق الله.

ولقد وضّح ابن تيمية - رحمه الله - أثر المنهج الحق - في الاعتقاد - وجلاه بقوله:

" هم الوسط - أي الفرقة الناجية - في فرق الأمة، كما أن الأمة هي الوسط في الأمم:

فهم وسط في باب (صفات الله) سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجَهمية، وأهل التمثيل المُشبهة.

وهم وسط في باب (أفعال الله تعالى) بين القَدَرية والجْبرية.

وفي باب (وعيد الله) بين المرجِئة والوَعيدّية من القدرّية وغيرهم.

وفي باب (أسماء الإيمان والدين) بين الحَرورية والمعتزلة، وبين المُرجئة والجَهمية.

وفي (أصحاب رسول الله ﷺ) بين الروافض والخوارج "[1].

(١) المرجع السابق : ص (١٤١) .

النتائج العملية للمنهج الصحيح

وللمنهج الصحيح نتائج عملية صالحة تدي واقع الأمة العملي بحقائق الدين، وتمكن لعزائم الإيمان وأخلاقه في حياة المسلمين.

ولقد برزت هذه النتائج العملية في وصف ابن تيمية - رحمه الله - للحياة العملية لأهل السنة والجماعة. حيث قال:

" ثم هم من هذه الأصول، يأمرون بالمعروف وَينهَون عن المُنكر على ما توجبه الشريعة، ويَرون إقامة الحَج، الجهاد، والجُمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا، وتحافظون على الجماعات.

ويدينون بالنصيحة للأمة، يعتقدون معنى قوله ﷺ ﴿ المؤمن للمؤمن كالْبنيان يشُد بعضُه بعضا ﴾ [1] [2] وشَبك بين أصابعه ﷺ.

وقوله ﷺ ﴿ مَثَلُ المؤمنينَ في تَوادهم وَتراحُمهم وَتعاطِفهم كمَثل الجَسد إذا اشْتكى مِنْه عُضو تَداعَى له سائِر الجسد بالسهر والحُمى ﴾ [3] [4].

ويأمرون بالصبر عند الابتلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمُر القضاء.

---

(١) البخاري الأدب (٥٦٨٠) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٥) ، النسائي الزكاة (٢٥٦٠) ، أحمد (٤/ ٤٠٥) .

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم . . إلخ : (٢٥٨٥) ، والنسائي في كتاب الزكاة ، باب أجر الخازن إذا تصدق بإذن مولاه : (٢٥٦٠) ، أحمد في مسنده : (٤ / ٤٠٤) .

(٣) البخاري الأدب (٥٦٦٥) ، مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٨٦) ، أحمد (٤/٢٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم : (٦٠١١) ، ومسلم في كتاب البر والصلة ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم . . . : (٢٥٨٦) ، وأحمد في مسنده : (٤ / ٢٧٠) .

ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ ﴿ أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقًا ﴾ [1] [2].

ويندبون إلى أن تصل مَنْ قطَعَك، وتُعطي من حَرمك، وتَعفو عمن ظَلمك.

ويأمرون ببر الوالدين، وصِلَةِ الأرحام، وحُسنِ الجوار، والإحسان إلى اليتامى، والمساكين وابن السبيل.

وَينهون عن الفَخْر والخُيَلاء والبغي والاستطالة على الخَلق بحق أو بغَير حق.

ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سَفسافها.

وكل ما يقولونه أو يفعلونه من هذا أو غيره، فإنما هم متبعون للكتاب والسنة " [3].

(١) أبو داود السنة (٤٦٨٢) ، أحمد (٢/٢٥٠) .

(٢) تقدم تخريجه في الصفحة (٥٤) .

(٣) " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ١٥٨ - ١٥٩) .

الجهاد الصادق في سبيل العقيدة

يعتبر الإمام ابن تيمية من مُجددي الدين والإيمان في نفوس الناس، وحياة الأمة.

ولقد اقترن هذا التجديد، بجهادٍ طويلٍ صبور صادق، لقي ابن تيمية - رحمه الله - في أثنائه ما لقي من صنوف الأذى والضرّ، بيد أنه ثبت، وتحمل، ومضى يدعو إلى ما يعرفه من حق ويقين.

يقول - رحمه الله - في وصف ما حصل بينه وبين خصومه، وهو مثال واحد من مواقفه رحمة الله عليه:

" فلما كان المجلس الثاني يوم الجمعة في اثنى عشر رجب وقد أحضروا أكثر شيوخهم ممن لم يكن حاضرا في ذلك المجلس، وأحضروا معهم زيادة " صفي الدين الهندي " وقالوا: هذا أفضل الجماعة وشيخهم في علم الكلام، وبحثوا فيما بينهم، واتفقوا وتواطؤا، وحضروا بقوة واستعداد ما كانوا عليه، لأن المجلس الأول أتاهم بغتة وإن كان أيضًا بغتة للمخاطب الذي هو المسؤول والمجيب والمناظر. فلما اجتمعنا، وقد أحضرتُ ما كتبته من الجواب عن أسئلتهم المتقدمة الذي طلبوا تأخيره إلى اليوم.

حمدت الله بخُطبة الحاجة، خطبة ابن مسعود رضي الله عنه ثم قلت:

إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونهانا عن الفرقة والاختلاف، وقال لنا في القرآن: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ (1) [آل عمران: ١٠٣]، وقال: ﴿ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ ﴾ (2) [الأنعام: ١٥٩]، وقال: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ (3) [آل عمران: ١٠٥].

وربّنا واحد، وكتابنا واحد، وأصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف، وأنا أقول

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .
(٢) سورة الأنعام آية : ١٥٩ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٠٥ .

ما يُوجب الجماعة بين المسلمين، وهو متفق عليه بين السلف، فإن وافق الجَمَاعةُ فالحمد للّه، وإلا فمن خالفني بعد ذلك كشفت له الأسرار، وهَتكت الأستار، َبيْنتُ المذاهب الفاسِدة، التي أفسدت الملل والدول، وأنا أذهب إلى سُلطان الوقت على البريد، وأعرفه من الأمور ما لا أقوله في هذا المجلس، فإن للسلم كلامًا، وللحرب كلامًا " [1].

وقال:

" ومعلوم أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من كانوا، وقد قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [2] [آل عمران: ١٣٩]، فمن كان مؤمنًا فهو الأعلى كائنًا من كان، ومن حاد الله ورسوله فقد قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3] [4] " [المجادلة: ٢٠].

إلى أن قال:

" فلما ذهبوا بي إلى الحبس حكم بما حكم به، وأثبت ما أثبت، وأمر في الكتاب السلطاني بما أمر به، فهل يقول أحد من اليهود، أو النصارى - دع المسلمين -: إن هذا حبس بالشرع، فضلًا عن أن يقال: شرع محمد بن عبد الله، وهذا مما يَعلم الصبيان الصغار بالاضطرار من دين الإسلام أنه مخالف لشرع محمد بن عبد الله " [5].

إلى أن قال:

" وأخذ يقول لي: هذه المحاضر، ووجدوا بخطك، فقلت: أنت كنت حاضرًا ذلك اليوم، هل أراني أحد ذلك اليوم خَطا، أو محضرًا؟ أو قيل لي: شَهد عليك بكذا، أو سُمع لي كلام؟ بل حين شرعت أحمد الله، وأثني عليه لقول النبي ﷺ ﴿ كل أمرٍ ذي بال لا يبدأ فيه

(١) المرجع السابق : ص (١٨١ - ١٨٢) .
(٢) سورة آل عمران آية : ١٣٩ .
(٣) سورة المجادلة آية : ٢٠ .
(٤) المرجع السابق : ص (٢٥٢) .
(٥) المرجع السابق : ص (٢٥٣) .

بالحمد لله فهو أجذم ﷺ [1] [2] َمنعوني من حمد الله وقالوا: لا َتحمد الله، بل أجب " [3].

" فقلت لابن َمخلوف: ألكَ أُجيب، أو لهذا المدعي؟ - وكان كلّ منهما قد ذكر كلامًا أكثره كذب - فقال: أجب المدعي، فقلت فأنتَ وحدك تحكم أو أنت وهؤلاء القضاة؟ فقال: بل أنا وحدي، فقلت: فأنت خَصمي فكيف َيصح حُكمك علي؟ فلم تطلب مني الاستفسار عن وجه المخاصمة ! فإن هذا كان خصماً من وجوه متعددة معروفة عند جميع المسلمين.

ثم قلت: أما ما كان بخطي فأنا مُقيم عليه. وأما المحاضر فالشهود فيها فيهم من الأمور القادحةِ في شهادتم وجوه متعددة تمنع قبول شهادتم بإجماع المسلمين، والذي شهدوا به، فقد علم المسلمون، خاصتهم وعامتهم بالشام وغيره ضد ما شَهدوا به " [4].

" فإني أنا من أي شيء أخاف؟ إن قُتلت كنت من أفضل الشهداء، وكان ذلك سعادة في حقي، يترضى بها علي إلى يوم القيامة، ويلعن الساعي في ذلك إلى يوم القيامة، فإن جميع أمة محمد يعلمون أني أُقتل على الحق الذي َبعث الله به رسوله، وإن حُبست فوالله إن حبسي لمن أعظم نعم الله عليّ، وليس لي ما أخاف الناس عليه لا مدرسة، ولا إقطاع، ولا مال، ولا رئاسة، ولا شيء من الأشياء " [5]

" ولكن هذه القصة ضررها يعود عليكم، فإن الذين سعوا فيها من الشام، أنا أعلم أن قصدهم فيها كيدكم، وفساد ملتكم، ودولتكم، وقد ذهب بعضهم إلى بلاد التتر، وبعضه مُقيم هناك، فهم الذين قصدوا فساد دينكم ودنياكم، وجعلوني إمامًا بالتستر، لعلمهم بأني أُواليكمُ وأنصح لكم، وأريد لكم خير الدنيا والآخرة، والقضية لها أسرار كلما جاءت

---

(١) أبو داود الأدب (٤٨٤٠) ، أحمد (٣٥٩/٢) .

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب ، باب الهدي في الكلام : (٤٨٤٠) ، وابن ماجه في كتاب النكاح ، باب خطبة النكاح : (١٨٩٤) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٣٥٩) .

(٣) " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ٢٥٥) .

(٤) المرجع السابق : ص (٢٥٦) .

(٥) المرجع السابق : ص (٢٥٩) .

تنكشف، وإلا فأنا لم يكن بيني وبين أحد بمصر عداوة، ولا بغضًا، وما زلت محبًا لهم، مواليا لهم: أمرائهم، ومشايخهم، وقضاتهم " [1].

داعية وَحدة على أصل العقيدة:

ما صدق أحد في الدعوة إلى التوحيد الخالص، والعقيدة المنجية إلا صدق في الدعوة إلى وحدة الجماعة المسلمة.

وهذا من المسائل العظيمة التي يجب أن يتحراها العلماء والدعاة في كل عصر، وكل مكان، مسألة: أن الوحدة والائتلاف قرينَتا التوحيد الحق، وأن الفرقة والاختلاف قرينتا الزيغ، والهوى، والبدعة.

وكان ابن تيمية داعية إلى التوحيد الخالص، والعقيدة العاصمة من الضلال، وكان - في الوقت نفسه - داعية إلى ائتلاف المسلمين واتحادهم، وجمع كلمتهم على الأصول الجامعة.

ومما قاله - رحمه الله - وعمل به في هذا المجال:

" والناس يعلمون أنه كان بين الحنبلية والأشعرية وحشة ومنافرة، وأنا كنت من أعظم الناس تأليفا لقلوب المسلمين، وطلبا لاتفاق كلمتهم اتباعا لما أمرنا به من الاعتصام بحبل الله، وأزلت عامة ما كان في النفوس من الوحشة، وبينت لهم أن الأشعري كان من أجل المتكلمين المنتسبين إلى الإمام أحمد - رحمه الله - ونحوه، المنتصرين لطريقه، كما يذكر الأشعري ذلك في كتبه " [2].

" ولما أظهرت كلام الأشعري - ورآه الحنبلية - قالوا: هذا خير من كلام الشيخ الموفق [3] وفرح المسلمون باتفاق الكلمة، وأظهرت ما ذكره ابن عساكر [1] في مناقبه: أنه

(١) المرجع السابق : ص (٢٦٠) .

(٢) المرجع السابق : ص (٢٢٧ - ٢٢٨) .

(٣) عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، موفق الدين الدمشقي الحنبلي ، مصنف " المغني " ، توفي بدمشق سنة (٦٢٠ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (٢٢ / ١٦٥ - ١٧٣) .

لم تزل الحنابلة والأشاعرة متفقين إلى زمن القشيري [٢] فإنه لما جرت تلك الفتنة ببغداد تفرقت الكلمة، ومعلوم أن في جميع الطوائف من هو زائغ ومستقيم.

مع أني في عمري، إلى ساعتي هذه لم أدع أحدًا قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حَنبلي، ولا انتصرتُ لذلك، ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وقد قلت لهم غير مرة: أنا أمهل من يخالفني ثلاث سنين، إن جاء بحرف واحد عن أحد من أئمة القرون الثلاثة يخالف ما قلته فأنا أقر بذلك، وأما ما أذكره فأذكره عن أئمة القرون الثلاثة بألفاظهم، وبألفاظ من نقل إجماعهم من عامة الطوائف " [٣].

(١) علي بن حسن بن هبة الله ، أبو القاسم ابن عساكر الدمشقي ، المؤرخ الحافظ ، توفي بدمشق سنة (٥٧١ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (٢٠ / ٥٥٤ - ٥٧١) .

(٢) عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن ، أبو نَصْر القشيري النيسابوري الواعظ ، زار بغداد ووعظ بها ، فبالغ في التعصب للأشاعرة ، وغَض من الحنابلة ، فوقعت بسببه فتنة عظيمة ، فاستدعاه نظام الملك إلى أصبهان إطفاءً للفتنة ببغداد ، توفي بنيسابور سنة (٥١٤ هـ) ، " سير أعلام النبلاء " : (١٩ / ٤٢٤ - ٤٢٦) .

(٣) " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ٢٢٨ - ٢٢٩) .

الأثر المبارك لجهاد ابن تيمية

بارك الله في جهاد ابن تيمية، فجعل له أثرًا صالحًا باقيًا ماثلاً في " مدرسة علمية وفكرية متكاملة " لها منهجها، وأسلوبا، وطابعها.

فمن هذا الأثر: تلاميذه، وفي مقدمتهم: شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية.

قال الحافظ ابن حَجر العسقلاني:

" فالواجب على من تلبس بالعلم وكان له عقل: أن يتأمل كلام الرجل من تصانيفه المشهورة، أو من ألسنةِ من يوثق به من أهل النقل، ولو لم يكن للشيخ تقي الدين إلا تلميذه الشيخ شمس الدين ابن قيّم الجوزية -صاحب التصانيف النافعة السائرة، التي انتفع بها الموافق والمخالف - لكان غاية في الدلالة على عظم م لته "[1].

وقال شيخ الإسلام التفهني الحنفي:

" والإنسان إذا لم يخالط ولم يعاشر، يستدل على أحواله، وأوصافه بآثاره، ولو لم يكن من آثاره - أي ابن تيمية - إلا ما اتصف به تلميذه ابن قيم الجوزية من العلم، لكفى ذلك دليلًا على ما قلناه "[2].

ومن هذا الأثر، كتبه الكثيرة العدد، النفيسة القيمة، الواسعة الانتشار.

ومن هذا الأثر، ثناء المؤمنين عليه في كل زمان ومكان.

من أعظم الآثار وأظهرها

دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

بين عصر ابن تيمية، وعصر ابن عبد الوهاب -رحمهما الله تعالى - أربعة قرون تقريبًا، ولم تخل هذه القرون الأربعة من داعية للحق، قائم بعقيدة أهل السنة والجماعة، بيد أنه لم ينهض أحد بمنهج ابن تيمية، كما نض به - بقوة ووضوح - شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - خصوصًا في الناحية العملية.

---

(١) " الشهادة الزكية في ثناء الأمة على ابن تيمية " لمرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي : ص (٧٤) .

(٢) المرجع السابق : ص (٨٢) .

فقد كانت كتب ابن تيمية وسيرته الجهادية منهجًا متكاملًا بين يدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي عزم - بحول الله وقوته - على تجديد شُعب الإِيمان في منطلق الرسالة، وكنف الحرمين الشريفين.

اعتقاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ظهر الإِمام محمد بن عبد الوهاب في عصر، يوصف بأنه: " عصر الجهالة والخرافة " في كثير من بلاد العالم الإسلامي، فهو عصر وهت فيه صلة المسلمين بأصولهم العلمية والاعتقادية، وكان من آثار ذلك:

جهالة فاشية، سببها، قلة العلم، وتلوثه بالمعكرات.

وانحرافًا في **العقيدة،** سببه، سيطرة الخرافة والوهم، وانتشار البدع.

واضطرابا في **الأعمال،** سببه، فقدان المنهج العلمي.

وتأججا في **الخلافات،** سببه، ضعف الإِيمان، ووهن عُرى الأخوة، وتدني الوعي بمصالح الأمة.

وإعجابًا بالأجنبي، سببه، التزاور عن الأصالة، وعدم الثقة بالنفس.

وتعرضا لمطامع خارجية، سببه، كل ما تقدم.

ولقد أيقن شيخ الإِسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بألا مخرج لهذه الأمة من هذه الظلمة المطبقة إلا بنور الكتاب والسنة.

وأيقن أن القاعدة الأولى في الإِصلاح، هي إصلاح العقيدة وتجديد شعب الإِيمان.

وصدع شيخ الإِسلام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بما أيقن به، وبدأ بما هو مفتاح الإِصلاح وعمدته وهاديه وحاديه، بدأ بالعقيدة.

وللشيخ أسلوبه المتميز في الاختصار المفيد، والتلخيص السديد.

قال - رحمه الله -:

" أُشْهِدُ الله ومن حضرني من الملائكة، وأُشهِدُكُم: أني أعتقد ما اعْتَقَدَته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، من الإِيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد

الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، على لسان رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليسَ كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أُحرف الكلم عن مواضعه، ولا أُلحد في أسمائه وآياته، ولا أُكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خَلْقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثًا، فَنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾ [١] [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

وأعتقد أن القرآن كلام الله، مُ ل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد ﷺ.

وأومن بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيءٌ في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا مَحيد لاتحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور.

وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونَعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين حفاةً عَراةً غُرلاً، تَدنو منهم الشمس، وتُنصب الموازين، وتوزن با أعمال العباد:

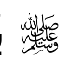
﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٢] [المؤمنون: ١٠٢، ١٠٣].

---

(١) سورة الصافات آية : ١٨٠ - ١٨٢ .

(٢) سورة المؤمنون آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

وتنشر الدواوين، فآخِذٌ كِتابه بيمينه، وآخِذٌ كتابه بشماله.

وأومن بحوض نبينا محمد  بعَرصَة القيامة، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء مَنْ شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

وأومن بأن الصراط منصوب على شَفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم.

وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مُشفع، ولا يُنكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال. لكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى:

﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1] [النجم: ٢٦].

وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله.

وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى:

﴿ فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2] [المدثر: ٤٨].

وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا يفنيان.

وأن المؤمنين يَرون ربهم بأبصارهم يوم القيامة كما يرون القمر ليلة البدر لا يُضامون في رؤيته.

وأومن بأن نبينا محمدًا ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته. وأن أفضل أمته، أبو بكر الصديق، ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين، ثم علي المرتضى، ثم بقية العشرة، ثم أهل بدر، ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان، ثم سائر الصحابة رضي الله عنهم.

وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم، وأعتقد فضلهم، عملًا بقوله تعالى:

---

(١) سورة النجم آية : ٢٦ .

(٢) سورة المدثر آية : ٤٨ .

﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴾ [1] [الحشر: ١٠].

وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء، وأُقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلا أنم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئًا، ولا يُطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله.

ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ ولكني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء.

ولا أكفر أحدا من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام.

وأرى الجهاد ماضيا مع كل إمام برا كان أو فاجرا، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة.

والجهاد ماض منذ بعث الله محمد ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأئمة الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل.

وأرى وجوب السمع والطاعة لأئمة المسلمين، برهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله.

ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعتهم، وحرم الخروج عليهم.

وأرى هجر أهل البدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله، وأعتقد أن كل محدثة في الدين بدعة.

وأعتقد أن الإيمان قولٌ باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، وهو بضع وسبعون شُعبة، أعلاها: شهادة لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق.

وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية

---

(١) سورة الحشر آية : ١٠ .

الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزة حررتا وأنا مشتغل البال لتطلعوا على ما عندي والله على ما نقول وكيل " [1].

وما برح الشيخ يدعو إلى هذه العقيدة الصافية المنيرة، ويصدع بالتوحيد ضدّ الشرك، وبالعلم ضد الخُرافة.

وما برح يستعمل في دعوته وسائل الاتصال الشخصي، والكتاب العام، والرسالة العامة والخاصة، والرحلة، والدرس.

وما برح خصومه يَضيقَون به ذرعًا، ويُضيقون عليه المقام والطريق حتى أذن الله بالنصر والتمكين.

أهمية الدولة في التمكين للدعوة

نماذج لهذا النصر والتمكين

تيأ للداعي إلى الله الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - سبب لم يتهيأ لدعاة وأئمة كثيرين قبله وبعده، وهذا من فضل الله عليه، وعلى الناس في هذه الجزيرة، وفي العالم الإسلامي كله، تيأ له سبب الدولة أو السلطة، وبذا السبب، الذي سببه الله تعالى، قويت دعوة الشيخ، وتمكنت وانتصرت.

استقبله أمير الدرعية، الإمام محمد بن سعود رحمه الله، خير استقبال، وعضد دعوته بالسلطان، وتعاون الرجلان على إعزاز التوحيد، وإحياء مقتضياته. وإزالة ما يخالفه.

وأخذ الإمام محمد بن سعود يُكاتب أمراء نَجد وزُعماءها، ويطلب إليهم أن يتقبلوا دعوةَ الشيخ الـاهد، وأن ينصروها في ربوعهم وبين قبائلهم.

وتحت راية دعوة التوحيد، نَشط الإمام محمد بن سعود وبنوه في نجد كلها، حتى استّقر الأمر للدعوة فيها، وفي الأحساء.

فلما وَلي الأمر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، نَهَجَ نَهْجَ والده في نصر دعوة

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدّية " جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم : (١ / ٢٨ - ٣٠) .

التوحيد والتمكين لها.

ومن نماذج هذا النصر والتمكين:

١ - توجيه رسائل مشتركة للدعوة، باسم رجل الدولة، ورجل الدعوة، إلى من يتحرى رشدًا:

" الحمد لله الذي نزل الحق في الكتاب، وجعله تذكرة لأولي الألباب، ووفق مَنْ مَن عليه من عباده للصواب، لعنوان الجواب، وصلى الله وسلم وبارك على نبيه ورسوله وخيرته من خلقه محمد، وعلى آله وشيعته وجميع الأصحاب، ما طلع نجم وغاب، وانهل وابل من سحاب.

من عبد العزيز بن محمد بن سعود، ومحمد بن عبد الوهاب:

إلى الأخ في الله أحمد بن محمد العديلي البكلي سلمه الله من جميع الآفات، واستعمله بالباقيات الصالحات، وحفظه من جميع البليات، وضاعف له الحسنات، ومحا عنه السيئات.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

وافانا كتابكم، وسُرّ الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم، وسؤالكم عما نحن عليه، وما دعونا الناس إليه. فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل، ونوضح لكم القول الراجح بالدليل، ونسأل الله سبحانه وتعالى أن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وسبيل.

أما ما نحن عليه من الدين، فعلى دين الإسلام الذي قال الله فيه:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ (١)

[آل عمران: ٨٥].

وأما ما دعونا الناس إليه، فندعوهم إلى التوحيد الذي قال الله فيه خطابًا لنبيه ﷺ

﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

(١) سورة آل عمران آية : ٨٥ .

ﭐلۡمُشۡرِكِينَ ١٠٨ ﴾ (١) [يوسف: ١٠٨]، وقوله: ﴿ وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨ ﴾ (٢) [الجن: ١٨].

وأما ما نهينا الناس عنه، فنهيناهم عن الشرك الذي قال الله فيه:

﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ ﴾ (٣) [المائدة: ٧٢].

إلى أن قالا:

" وحقيقة اعتقادنا، أنا تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح، وإلا فالمنافقون في الدرك الأسفل من النار مع أنم يقولون: لا إله إلا الله، بل ويُقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويصومون ويحجّون.

وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد، فنحنُ مقلّدون للكتاب والسّنة، وصالح سلف الأمة، وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومُحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى.

وأما ما سألتم عنه من حقيقة الإيمان، فهو التصديق، وأنه يزيد بالأعمال الصالحة، وينقص بضدّها، قال تعالى:

﴿ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾ (٤) [المدثر: ٣١].

وما جئنا بشيء يُخالف النقل ولا ينكره العقل، ولكنهم يقولون ما لا يفعلون، ونحن نقول ونفعل:

﴿ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣ ﴾ (٥) [الصف: ٣].

نقاتل عُبّاد الأوثان، كما قاتلهم ﷺ ونقاتلهم على ترك الصلاة وعلى منع الزكاة،

---

(١) سورة يوسف آية : ١٠٨ .
(٢) سورة الجن آية : ١٨ .
(٣) سورة المائدة آية : ٧٢ .
(٤) سورة المدثر آية : ٣١ .
(٥) سورة الصف آية : ٣ .

كما قاتل مانعها صدّيق هذه الأمة، أبو بكر الصديق ﷺ ولكن ما هو إلا كما قال وَرقَة بن نوفل: ما أتى أحد بمثل ما أتيت به إلا عودي وأوذي وأُخرج.

وما قَل وكفى خير مما كثر وألهى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته "[١].

٢ - توجيه رسائل الدعوة التي كان يرسلها الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود - بوصفه إمامًا لدولة تقوم على الدعوة - إلى الناس كافة.. مثل:

من عبد العزيز بن سعود إلى من يَراه من أهل بلدان العجم والروم، أما بعد:

فإنا نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو وهو للحمد أهل، ونسأله أن يصلي ويُسلّم على حبيبه من خلقه، وخليله من عبيده، وخيرته من بَريته، محمد عليه من الله أفضل الصلاة، وأزكى التحيات، وعلى إخوانه من المرسلين، وعلى آله وأصحابه صلاة وسلامًا دائمين إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

ثم نخبركم: أن " محمدًا خَلَفًا النواب " قدم علينا مع الحاج، وأقام عندنا مدة طويلة، وأشرف على ما نحن عليه من الدين، وما ندعو إليه الناس، وما نقاتلهم عليه، وما نأمرهم به، وما ننهاهم عنه. وحقائق ما عندنا يخبركم به أخونا محمد من الرأس.

ونحن نذكر لكم ذلك على سبيل الإجمال:

أما الذي نحن عليه، وهو الذي ندعو إليه من خالفنا، أنا نعتقد أن العبادة حق لله على عبيده، وليس لأحدٍ من عبيده في ذلك شيء لا مَلك مقرب، ولا نبي مرسل، فلا يجوز لأحد أن يدعو غير الله لجلب نفع أو دفع ضُر، وإن كان نبيًا أو رسولًا أو ملكًا، أو وليًا، وذلك أن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز:

﴿ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن

---

(١) المرجع السابق : ص (٦١ - ٦٤) .

دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾[1] [الجن: ٢١، ٢٢]. إلى آخر ما قال "[2].

٣ - ما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب في رسالته للشيخ فاضل آل مزيد، حيث قال:

"إن هذا الأمر الذي أنكروا علي وأبغضوني وعادوني من أجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرهما يقول: هذا هو الحق، وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني، لأجل أن الدولة ما يرضون، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره. بل لما عرف الحق اتبعه، هذا كلام العلماء وأظنه وصلك كلامهم "[3].

وحينما دخل الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، مكة المكرمة بين للعلماء أن الهدف الأول الذي يسعى إليه، هو إخلاص التوحيد لله، وإفراده سبحانه وحده دون من سواه بأنواع العبادة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمهما الله تعالى -:

" الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أما بعد:

فإنا مَعاشِر غزو الموحدين، لما مَن الله علينا، وله الحمد، بدخول مكة المشرفة نصف النهار يوم السبت في ثامن شهر محرم الحرام سنة (١٢١٨ هـ)، بعد أن طلب أشراف مكة وعلماؤها وكافة العامة من أمير الغزو سعود، الأمان، وقد كانوا تواطؤا مع أمراء الحجيج، وأمير مكة على قتاله، أو الإقامة في الحرم ليصدوه عن البيت، فلما زحفت أجناد الموحدين بذل الأمير حينئذ الأمان لمن بالحرم الشريف، ودخلنا وشعارنا التلبية، آمنين محلّقين رءوسنا ومقصّرين، غير خائفين من أحدٍ من المخلوقين، بل من مالك يوم الدين،

(١) سورة الجن آية : ٢١ - ٢٢ .

(٢) المرجع السابق : ص (١٤٣) .

(٣) الدرر السنية في الأجوبة النجدية " جمع عبد الرحمن بن قاسم ص (٥٩) .

ومن حين دخل الجند الحرم وهم على كثرتم مضبوطون متأدبون، لم يعضدوا بها شجرا، ولم ينفروا صيدًا، ولم يريقوا دمًا إلا دم الهَدي، أو ما أحل الله من بَهيمة الأنعام على الوجه المشروع.

ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد، وعرض الأمير - رحمه الله - على العلماء ما نطلب من الناس، ونقاتلهم عليه، وهو إخلاص التوحيد لله تعالى وحده. وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف إلا في أمرين:

الأول: إخلاص التوحيد لله تعالى، ومعرفة أنواع العبادة، وأن الدعاء من جملتها، وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل الناس عليه نبينا محمد ﷺ.

الثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي لم يبق عندهم إلا اسمه، وانمحى أثره ورسمه.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملةً وتفصيلًا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسُنة، وقبل منهم، وعفا عنهم كافة، فلم يحصل على أحد منهم أدنى مشقة، ولم يزل يرفق بهم غاية الرفق، لا سيما العلماء.

وعرّفناهم بأن الأمير صرح لهم حال اجتماعهم وحال انفرادهم لدينا بأنا قابلون ما وضحوا برهانه من كتاب أو سنة، أو أثر عن السلف الصالح كالخلفاء الراشدين المأمورين باتباعهم... "

إلى أن قال:

" ثم رفعت المكوس والرسوم، وكُسرت آلات التنباك، ونودي بتحريمه، وأحرقت أماكن الحشاشين، والمشهورين بالفجور، ونودي بالمواظبة على الصلوات في الجماعات، وعدم التفرّق في ذلك، بأن يجتمعوا في كل صلاة على إمام واحد، ويكون ذلك الإمام من أحد المقلدين للأربعة رضوان الله عليهم.

واجتمعت الكلمة حينئذ، وعُبدَ الله وحده، وحَصلت الألفة، وسقطت الكُلفة، وأمر عليهم، واستتب الأمر من دون سفك دم، ولا هتك عرض، ولا مشقة على أحد، والحمد

لله رب العالمين " [1].

جهود الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود في الدعوة

ولا يزال الأئمة من آل سعود ينصرون دعوة التوحيد في عهودهم جميعًا، على تفاوت بين عهد وآخر من حيث القوة والضعف، مُثبتين أن للدولة أهمية عظيمة في التمكين للدعوة.

ولا يقتضي هذا القول: أن الدعوة تخمد مطلقًا حين لا تجد سلطة تنصرها، ولكن يقتضي: أن الدولة حين تحمل الدعوة بإخلاص وعلم وهمّة، فإن التوحيد يكون أوسع سيادة، وأعظم هيبة.

ويتضح ذلك من نصرة التوحيد، وإعزازه، ونشره في عهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود - رحمه الله -.

يقول المشايخ محمد بن عبد اللطيف، وسعد بن حمد بن عتيق، وعبد الله بن عبد العزيز العنقري، وعمر بن محمد بن سليم، ومحمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف - رحمهم الله -:

" ثم لما وقع الخلل من كثير من الناس من عدم القيام بشكر هذه النعمة ورعايتها، ابتلوا بوقوع التفرق والاختلاف وتسلط الأعداء، والرجوع إلى كثير من عوائدهم السالفة، حتى مَن الله في آخر هذا الزمان بظهور الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل فيصل أيده الله ووفقه، وما مَن الله به في ولايته من انتشار هذه الدعوة الإسلامية، والملة الحنيفية، وقمع من خالفها، وإقبال كثير من البادية والحاضرة على هذا الدين، وترك عوائدهم الباطلة، وكذلك ما حصل بسببه من ردع أهل المعاصي والمخالفات، وإقامة دين الله في الحرمين الشريفين - زادهما الله تعالى تشريفًا وتكريما - " [2].

وكان أمر العقيدة جليًا لدى الملك عبد العزيز، إذ يقول - رحمه الله -:

" يسمّوننا بالوهابّيين، ويسمون مذهبنا بالوهابي باعتبار أنه مذهب خاص، وهذا خطأ

---

(١) المرجع السابق : ص (١٢٣ - ١٢٥) .

(٢) " الدرر السنية في الأجوبة النجدية " جمع الشيخ عبد الرحمن بن قاسم (٧ / ٢٨٤ - ٢٨٥) .

فاحش، نشأ عن الدعايات الكاذبة التي كان يبثها أهل الأغراض.

نحن لسنا أصحاب مذهب جديد، وعقيدة جديدة، فعقيدتنا هي عقيدة السلف الصالح، ونحن نحترم الأئمة الأربعة، ولا فرق عندنا بين مالك والشافعي وأحمد وأبي حنيفة، وكلهم محترمون في نظرنا.

هذه هي العقيدة التي قام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب يدعو إليها، وهذه هي عقيدتنا، وهي عقيدة مبنية على توحيد الله ﷻ خالصة من كل شائبة، م هة عن كل بدعة " [1].

وإذ يستعمل الملك عبد العزيز سلطانه في التمكين للتوحيد والعقيدة المنجية في بلاده، فإنه ينشرها خارج بلاده بوسيلتين اثنتين:

١ - بعث الدعاة.

٢ - نشر كتب التوحيد الخالص وعقيدة أهل السنة والجماعة.

ومّما أمر بنشره من كتب العقائد:

العقيدة الواسطية، والتوسل والوسيلة، ومنهاج السنة، والعبودية، وهي من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية.

ومجموعة التوحيد، وهي مجموعة لشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عبد الرحمن بن حسن، والشيخ سليمان آل الشيخ - حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب -، والشيخ عبد الله العنقري، والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن، والشيخ سليمان بن سحمان.

ولمعة الاعتقاد لابن قدامة...

وغير ذلك الكثير من الكتب المبينة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

ولهذا السبب، سبب تسخير سلطة الدولة في نصرة الإسلام، وجدت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهي الدعوة الباعثة لعقيدة أهل السنة والجماعة، والمحيية لشُعَبها،

---

(١) الملك الراشد " لعبد المنعم الغلامي : ص (٣٦٩) .

والمستجيبة لمقتضياتا، وجدت من الانتشار والتمكن، ما لم تجده دعوات أخرى كثيرة: فردية وجماعية.

فمنذ أن نض هذا الداعية الإمام، يدعو إلى الله على بصيرة، وهذه الدعوة المباركة لا تزال تترسخ في جزيرة العرب، وتنتشر في العالم الإسلامي كله بحمد الله وفضله.

وبرز هذا الانتشار في مدارس فكرية، ونشاط دعوي، وجهود متصلة لإحياء تراث السلف الصالح.

إن لانتشار الدعوة الإسلامية في تاريخ المسلمين الحديث، وحياتم المعاصرة سببا، أو أسباباً، ويأتي في مقدمة هذه الأسباب: دعوة الإحياء العامة لمنهج أهل السنة والجماعة التي نض با شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والتي نصرها آل سعود، دولةً بعد دولة، وإماما بعد إمام، منذ محمد بن سعود إلى يوم الناس هذا.

فلا يزال المنهج الإسلامي يحكم حياة المملكة العربية السعودية وشعبها في الاعتقاد والاجتهاد، والسلوك.

العقيدة التوقيفية الجامعة [1]

لماذا هذا التتبع للعقيدة، في مصادرها العلمية، ومسارها التاريخي، القرون الأولى، ثم القرون: الرابع، والخامس، والسادس، ثم عصر ابن تيمية، ثم ما بعد ابن تيمية إلى يوم الناس هذا؟

ولماذا الاستشهاد بنصوص اختلفت أزمانا، وتنوعت الخيارات الفقهية لقائليها؟

والجواب عن ذلك:

١ - أن أصول الحق هي التي تجمع الناس، مهما تعددت أمكنتهم، ومهما باعدت بينهم الأزمنة، ومهما اختلفوا في فروع الفقه.

إن النصوص التي سقناها، والتي نقلت مفهوم العقيدة الإسلامية لدى الحنفية،

---

(١) الفقرات التالية مُقتطفة من مقدمة " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز تحقيق د عبد الله التركي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط ، الطبعة (١٤٠٨ هـ) ص (٤١ - ٤٥) .

والحنبلية، والمالكية، والشافعية، وابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، هذه النصوص لم تتطابق في المفهوم فحسب، وإنما تطابقت في اللفظ كذلك.

وهذا برهان على:

أ - الصدور عن الأصلين المعصومين: الكتاب والسنة.

ب - صحة المنهج العلمي في الاعتقاد والفهم.

ج - دقة الالتزام بالمنهج.

فالحق هو الحق في كل زمان ومكان، فإذا صح منهج التلقي، ومنهج الفهم، وحصل الصدق في الالتزام، اجتمع الناس على الحق، وإن فصلت بينهم التخوم والقرون.

فالأنبياء والمرسلون، صلى الله عليهم وسلم اجتمعوا على أصل الديانة وإن لم ير بعضهم بعضا، وإن ظهروا في عصور تطاولت بينها الآماد:

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ ﴾ (1) [الشورى: ١٣].

والمسلمون مأمورون بالاقتداء بالأنبياء في الاجتماع على الأصول.

٢ - أن العقيدة ليست مذهبًا اجتهاديًا، بل هي الميزان الثابت الذي لا يضطرب ولا يطيش.

إن العقيدة هي معرفة مراد الله تعالى من الديانة، ومن بعث الرسل، وإنزال الكتب، وخلق الجن والإنس، ثم الاستقامة على ذلك والعمل بمقتضاه.

والرسول ﷺ هو القدوة في العلم بمراد الله، وفي العمل بمقتضاه.

ولقد اقتدى الصحابة، ثم سائر القرون المشهود لها بالخيرية بالرسول ﷺ في الاعتقاد الحق.

وندب الله الأئمة في كل عصر لتبيين الاعتقاد الصحيح، الذي هو العقيدة التوقيفية

(١) سورة الشورى آية : ١٣ .

الجامعة.

ومن القول الفصل الدالّ على أن الاعتقاد الصحيح هو الفرقان بين الحق والباطل: أن الذين التزموا هذه العقيدة استقاموا على الطريقة، وصلحوا وأصلحوا في العلم، والدعوة، والحكم، والعمل، والجهاد.

وأن الذين شذوا عن هذه العقيدة تفرقت بم السبل، وعقم فهمهم، واضطربت أقوالهم وأفعالهم، وفسدوا، وأفسدوا:

﴿ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَـٰلُ ﴾ (1) [يونس: ٣٢].

يقول ابن تيمية، رحمه الله:

" وطريقتهم - أي أهل السنة والجماعة - هي دين الإسلام الذي بَعث الله به محمدا ﷺ لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ﴿ تَفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاّ واحدة ﴾ (2) (3) وهي الجماعة، وفي حديث عنه ﷺ أنه قال: ﴿ هم مَنْ كان على مِثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ﴾ (4) (5) صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب، هم أصحاب السنة والجماعة، وفيهم الصديقون، والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدجى، وأولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، الأئمة الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم.

وهم الطائفة المنصورة الذين قال فيهم النبي ﷺ

---

(١) سورة يونس آية : ٣٢ .

(٢) أبو داود السنة (٤٥٩٧) ، أحمد (١٠٢/٤) ، الدارمي السير (٢٥١٨) .

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب السنة ، باب شرح السنة : (٤٥٩٧) ، والترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة : (٢٦٤٠ ، ٢٦٤١) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب افتراق الأمم : (٣٩٩٣) ، وأحمد في مسنده : (٤ / ١٠٢) ، والدارمي في كتاب السير ، باب في افتراق هذه الأمة : (٢٥٢١) .

(٤) الترمذي الإيمان (٢٦٤١) .

(٥) أخرجه الترمذي في كتاب الإيمان ، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة : (٢٦٤١) ، والطبراني في الصغير ، باب من اسمه عيسى : (٧١١) .

﴿ لا تزال طائفةٌ من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خَذلهم ولا من خَالفهم حتى تقوم الساعة ﴾ [1] [2].

ويقول:

ثم سأل نائب السلطان عن الاعتقاد، فقال أي ابن تيمية:

" ليس الاعتقاد لي، ولا لمن هو أكبر مني بل الاعتقاد يؤخذ عن الله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ وما أجمع عليه سلف الأمة، يؤخذ من كتاب الله تعالى ومن أحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من الأحاديث المعروفة، وما ثبت عن سلف الأمة " [3].

ويقول:

" فقلت: لا والله، ليسَ لأحمد بن حنبل في هذا اختصاص، وإنما هذا اعتقاد سلف الأمة، وأئمة أهل الحديث.

وقلت أيضًا: هذا اعتقاد رسول الله ﷺ وكل لفظ ذكرته، فأنا أذكر به آية أو حديثًا، أو إجماعًا سلفيًا، وأذكر من ينقل الإجماع عن السلف من جميع طوائف المسلمين، والفقهاء الأربعة، والمتكلمين، وأهل الحديث والصوفية " [4].

٣ - أن التوجه الإسلامي المعاصر نحو العودة إلى الدين يجب أن يؤسس على هذه العقيدة التوقيفية الجامعة، وأن يُرد ردا جميلًا إلى الأصول العاصمة من كل زيغ وضلال، فإن البنيان مهما علا، فإنه سينهار، وإن الأفق مهما اتسع، فإنه سيعتكر ويظلم، ما لم يؤسس البنيان على العقيدة المنجية، وما لم يستضئ الأفق المتسع بنورها.

إن هذه العقيدة الحقة هي التي تُري الانبعاث الإسلامي الجديد: كيف يؤمن؟ وكيف

---

(١) مسلم الإمارة (١٩٢٠) ، الترمذي الفتن (٢٢٢٩) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٥٢) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٥٢) ، أحمد (٢٧٩/٥) .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية " (٣ / ١٥٩) ، وتقدم تخريج الحديث الأخير في الصفحة : (٣١) .

(٣) المرجع السابق : ص (٢٠٣) .

(٤) المرجع السابق : ص (١٨٩) .

َيفهم؟ وكيف يعمل؟

وهي التي ُتريهم كيف يدعون ِإلى الِإسلام وفق المنهج الصحيح، فُيفتون بعلم، ويدعون برفق، ويُوقرون من سبقهم من العلماء والأئمة، ويقتدون بم ويترضون عنهم.

وكيف يحافظون على وحدة الجماعة، فما أكثر ما كان الِإمام الداعية ابن تيمية - رحمه الله - يقول - في كل مجلس حوارٍ ومناقشة تقريبًا -:

" إن الله تعالى أمرنا بالجماعة والائتلاف، ونى عن الفرقة والاختلاف. وربنا واحد، ورسولنا واحد، وكتابنا واحد، وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف، ولا يحل فيها الافتراق، لأن الله تعالى يقول:

﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾ [1] [2] [آل عمران: ١٠٣].

ويقول: " فالواجب على المسلم ِإذا صار في مدينة من مدائن المسلمين أن يصلي معهم الجمعة والجماعة، ويوالي المؤمنين ولا يعاديهم، وإن رأى بعضهم ضالا أو غاويا، وأمكن أن يهديه ويرشده فعل ذلك، وِإلا فلا يكلف الله نفسًا ِإلا وسعها " [3].

والعلاقة وثيقة في منهج الِإسلام بين توحيد الله، ووحدة الجماعة.

فقد تابع الرسول ﷺ بين توحيد الله، ووحدة الجماعة، فقال:

﴿ ِإن الله يرضى لكم ثلاثًا، ويكره لكم ثلاثًا؛ يرضى لكم: أن تعبدوا الله ولا ُتشركوا به شيئا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن ُتناصحوا من وَلاه الله أمركم، ويسخطُ لكم: قيل وقال، وِإضاعة المَال، وكثرة السؤال ﴾ [4] [5].

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٣ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ٢٠٥) .

(٣) المرجع السابق : ص (٢٨٦) .

(٤) مسلم الأقضية (١٧١٥) ، أحمد (٣٦٧/٢) ، مالك الجامع (١٨٦٣) .

(٥) رواه أحمد في مسنده : (٢ / ٣٦٧) .

قواعد مهمة في دراسة مسائل العقيدة

١ - القرآن مصدر الأدلة النقلية والعقلية

يتضح للمهتمين بكتب السلف في أصول الدين، والذين لهم تمرس بـا، منهج أئمة السلف - رحمهم الله - في دراسة مسائل العقيدة، ومناقشات المخالفين والرد عليهم، وقد رأيت مناسبة ختم هذه الرسالة بإيراد أهم القواعد والأسس في ذلك المنهج، وهي منقولة من مقدمة كتاب " شرح العقيدة الطحاوية " لابن أبي العز [1] أرجو أن يكون فيها فائدة للمهتمين بـذا الموضوع.

١ - القرآن مصدر الأدلة النقلية والعقلية:

َتضَمن القرآن الدعوةَ إلى توحيد الله، وَبث في الأنفس والآفاق دلائل التوحيد، ولَفَتَ َنظَرَ الإنسان إليها، وحَثه على النظرِ والتفكير فيها، وَبينَ بالبراهين العقلية إثباتَ صفاته، وصدقَ رُسُلِه، وأمْرَ المعاد، وغيرَ ذلك من أصول الدين، وأجاب عن مُعارضَةِ المشركين، وكَشَفَ شُبَهُهم، وَنقَضَ أقوالهم، وفَند مزاعمهم.

وهذه الأدلة شرعيةٌ، لأن الشرعَ دل عليها، وأرشد إليها.

وعقليةٌ، لأنا ُتْعَلُم صحتُها بالعقل.

فإذا أخبر الله بالشيء، وَدل عليه بالدلالات العقلية، صار مدلولًا عليه بخبره، ومدلولًا عليه بالدليل العقلي الذي ُيْعَلُم به، فيصير ثابتًا بالسمع والعقل، وكلاهما دَاخِلٌ في دلالةِ القرآن التي ُتسمى الدلالةَ الشرعية.

ونقدُ السلف لعلم الكلام، لم يصدر عن انتقادهم المنهج العقلي، ولكنهم فَضلُوا المقاييس الشرعية، لأنا عقلية أيضًا، وهي أبلغُ وأكملُ من أدلة المتكلمين، مع تـ ههـا عن الأغاليط التي تشتمل عليها أدلتهم.

وقد جاءت هذه الأدلةُ بأسلوبٍ باهر متدفقٍ بالحيوية، وضربِ الأمثلة المستمدة من

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية " ص (١٤ - ٣٤) الطبعة الأولى (١٠٤٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، والشيخ شعيب الأرنؤوط .

حياةِ الإنسان، وما يُحيط به مهما اختلف جنسُه، أو بيئُته، أو عصرُه، فهي أبلغُ من كل أُسلوبٍ، وأشد تأثيرًا في النفس من أي أسلوب آخر، وفيها مجالٌ واسعٌ للعقل يقضي فيها رغبَته، ويُشْبعُ نهمَته، مع ضمان السير في المسارِ الصحيح دونَ تعثر أو انحِرَاف.

وقد أعَد الله العقولَ بصفة عامة لإدراك ما هو مطلوب شرعا، وأعدّ لها ما يُسددُها فيه من الفطرة التي لم تُفْسِدْهَا الأهواء، والآياتِ الظاهِرة في الأنفُسِ والآفاق، ثم أكمل بالشرع المتمثلِ بالكتاب وناطقِ السنة.

وقد اكتفى السلفُ الصالحُ بالقرآن الكريم إلى جانب السنة في اتخاذه دليلًا وهاديا، وقد استنبطوا من آياته قواعدَ النظر العقلي، فكانوا من أقدر الناس على توضيح مسائل الاعتقاد، وتوثيقها بالحجة والبرهان والإجابة عن كل تساؤل أو تشكيك في الاعتقاد.

٢ - اتباع السلف الصالح في تفسير النصوص

ونعني بالسلف الصالح، الصحابةَ والتابعين مِنْ أهل القرون الثلاثة الممتدحة الذين يَتقيدونَ بالكتاب والسنةِ نصا ورُوحًا، دُونَ مَنْ وصف بالبدعة، كالخوارج، والقدرية، والمعتزلة، وغيرهم منَ الفِرَق.

وإنما يُؤخذُ برأيهم، ويُعتَد به، لكونهم أبر قلوبًا، وأعمقَ علمًا، وأقل تكلّفًا، وأقربَ إلى التوفيق، لما خَصهم الله به من توقّدِ الأذهانِ، وسَعَةِ العلم، وقوةِ الإدراك، وحسنِ القصدِ، وَتقوى الله، وقُرب العهد بنور النبوة، فكانت طريقُتهم لذلك، هي الطريقة المحمودة، وطريقة غيرهم لا تُساويهم، ولا تدنو منهم.

٣ - الإيمان بمسائل الغيب محصور في الخبر الصادق

إن المسائل التي لا يتناوَلها الحِسّ، ولا مَحَل فيها للتجربَةِ، وليس ثمة مقدماتٌ عقلية يَصِلُ بها العقل إلى معرفة واقعها، كمسائل الغيب، يَنحصِر مَصدَرُ العلم بها في خصوص الخبر الصادق المؤيد بالمعجزات الواصِلِ إلى الناس مِن عالِمِ الغيب، ومُبدع الأكوان والمخلوقات.

فما أخبرَ الله عنه أو رسولُه من شؤون الغيب، نؤمِنُ به على القدر الذي أخبرَ الله به

أو رسولُه دونَ صرفِ اللفظ عن معناه، ودونَ زيادة عما تضمَنَهُ الخبرُ الصادق، ودونَ استبعاد أو إنكارٍ.

وَمِن التكلّفِ المنهي عنه، البحثُ في أمور غيبية وَرَدَ الشرعُ بالإيمانِ با مع تَرك كيفيتِها. ومنها ما لا يكونُ له شاهد في عالم الحس، كالسؤال عن وقت الساعة، وعن الروح، وعن مُدةِ هذه الأمة، إلى أمثال ذلك مما لا يُعلمُ إلا بالنقل الصرف، فهذا النوع يجبُ الإيمانُ به من غير بحثٍ.

٤ - تقسيم التوحيد إلى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ووجوب التّصديق با

التوحيدُ عند السلف نوعان:

الأول: توحيدُ الربوبية: وهو الاعتقادُ بأن رب العالَم وخالقه واحدٌ وليس اثنين، وهو الربّ سبحانه الذي جُبلت الفِطَرُ السليمةُ على الإقرار به، والخضوع له، والإيمان بما له من الأسماء والصفات على وفق ما جاء في الكتاب والسّنة، فتوحيد الأسماء والصفات داخل في توحيد الربوبية عند الإجمال، وأما عند التفصيل فيكون قسمًا ثالثًا، خصوصًا إذا قصد الرد على من يُقر بالربوبية وينكر الصفات، كالجهمية والمعتزلة.

الثاني: توحيد الألوهية: ومعناه: أن يُعبَدَ الله وحدَه، ويكفر بعبادة ما سواه، وبذا النوع يتحققُ معنى كلمة التوحيد: " لا إله إلا الله ".

وهذا النوع من التوحيد، هو دعوة كل رسول إلى قومه منْ لَدُنْ آدم إلى محمدٍ عليه الصلاة والسلامُ، ومِنْ أجله خَلَقَ الله الخلقَ، وجَعَلَ الجنةَ والنارَ، وفَرقَ الناس إلى شقي وسعيدٍ، ولا يُقبلُ إيمانُ المرءِ إلا بالإقرارِ به قولًا وعملا وهو يَتَضَمنُ توحيدَ الربوبية.

وقد عُنِيَ القرآن بتقرير هذا النوع من التوحيد، والبرهنة عليه بالأدِلةِ العقلية والبراهين الصحيحة، لأن الشرْكَ الذي وَقَعَ في جميع الأمم كان في هذا النوع، فإن عامة مشركي الأمم كانوا مُقِرينَ بربوبيته سبحانه، ولكنهم مع إقرارِهم بربوبيته قد أشْرَكُوا بعبادتِه غيْرَهُ.

٥ - إثبات الأسماء والصفات مع الإقرار بمعناها وعدم التعرض لكيفيتها

تُعَد مسألةُ الصفات من أجل وأعظم ما تُكُلِّمَ فيه من أصول الاعتقاد، وقد اضطَرَبَتْ فيها أقوالُ الفلاسفة والمتكلمين، فمنهم مَنْ قال بالنفي المَحْضِ، ومنهم من أقر بأسماء الله في الجملة وَنفَى الصفات، ومنهم من أقر بالأسماء والصفات، لكنه رَد طائفةً منها، وتأولَها، وصَرَفَها عن ظاهرها.

وَمَذْهَبُ السلف في هذه المسألة: هو الإيمانُ بكل ما وَرَدَ في كتاب الله وناطِقِ السنة من الأسماء والصفات من غير زيادة عليها، ولا نُقصانٍ منها، ولا تجاوُزٍ لها، ولا تأويلٍ لها بما يُخالِفُ ظاهرَها، وقدِ انقضى عَصْرُ الصحابة والتابعين من السلف والأئمة على التسليم المُطْلَقِ بما جاءَ في الكتاب والسنة عن الذاتِ الإلهية وصفاتها، ولم يتنازَعُوا في مسألةٍ واحدةٍ من مسائل الأسماءِ والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نَطَقَ به الكتابُ والسنة، كَلِمَتُهم واحدةٌ من أولهم إلى آخرهم، لم يَسُومُوها تأويلًا، ولم يُحَرفوها عن مواضعها تبديلًا.

وهم يعتقدون أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفيةٌ، لا يجوزُ إطلاقُ شيءٍ منها على الله في الإثبات أو النفي إلا بإذن الشرع، فلا يُثْبتونَ له سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبَتَهُ هو لنفسه، أو أثبَته له رسولُه  وأن كل ما ثبتَ له من الأسماء والصفات لا يماثِل شيئًا من خلقه، ولا يُماثلُه شيءٌ، بل كل ما ثبتَ له من صفات الكمَال التي وَرَدَت في النصوص الصريحة، فهو مُختص به لا يَشْرَكُهُ فيه أحدٌ من خلقه، وإذا كان هناك من الأسماء ما يُطْلَقُ على صفاتِ الله كما يُطْلَقُ على صفات خَلْقه، فإن هذا ليس إلا مَحْضَ اشتراكٍ في الاسم والمعنى العام، فلا يَلْزَمُ من اتفاقِهما في مسمى الصفة ومعناها العام اتفاقُهما في حقيقة الصفة، فإذا كانت ذاتُه سبحانه لا تُمَاثِلُ الذوات، فكذلك صفاتُه لا تماثِلُ الصفاتِ، لأنه سبحانه لا تُضْرَب له الأمثالُ بخَلقِه لا في ذاته، ولا في صفاته.

ولم يَقُلْ أحدٌ منهم: إن آيات الصفات لا يَعْلَمُ معناها إلا الله، بدليل أنهم كانوا يثبتون لله ما تضمنته من صفات، ولو كان معنى الآيات والأحاديث غير مفهوم لهم ألبتة، لما صَح منهم الإثباتُ، إذ كيف يثبتون شيئًا لا يُعْقَل معناه، غايةُ الأمر أنهم لم يكونوا يبحثُون وراءَ

هذه الظواهر عن كُنْهِ هذه الصفات، أو عن كيفية قيامِها بذاته تعالى، لأن معرفةَ ذلك فوقَ مستوى العقل البشري، وهو من الغيب الذي استأثَر الله بعلمِه، فهو سبحانه أجل من أن يُدرَكَ كُنْهُ ذاته وصفاته، أو يحاطَ با علمًا: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [1] [الشورى: ١١].

وبذا يُعلَمُ أنّ السلف الصالح كانوا أكثرَ فطنةً، وأحد ذكاءً من أصحاب الفِرَق، لأنم عَرَفُوا أنه لا سبيل إلى إدراك كُنْه الصفات بالعقل، لأنه من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاقِ قُدرته.

٦ - الجمع بين الإثبات والت يه

فإن القرآن جمع فيما وَرَدَ فيه عن الصفات بينَ الإثباتِ والت يه في آية واحدة حين قال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [2] [الشورى: ١١]، فالله سميع بصير، ولا يُشْبِهُهُ أحد من خلقه، مع أنم يسمعون ويبصرون، وكذا في بقية الصفات، لأن التماثلَ في الصفات فرعٌ عن التماثل في الذواتِ، والذاتان هنا مختلفتان تمامًا، فكذا صفاتُهما.

فتسميتُه تعالى قادرًا وتسمية العبد قادرًا لا تُوجبُ مماثلة قدرة الله لِقُدْرَة العبد، وكذا تسميتُه عالمًا، ومُريدًا، وحيا، وسميعًا، وبصيرًا، ومتكلمًا، مع تسمية عباده بذه الأسماء لا يَستلزمُ أن علمَهُم كعلمِه، ولا إرادتم كإرادتِه، ولا حياتهم كحياتِه.

وما يوجد في الخارج من الأسماء لا يوجد مطلقا كليا، وإنما يُوجد معيَّنًا مختصًا، وهذه الأسماء إذا سُمي الله با، كان مُسماه معيَّنًا مختصًا به، وإذا سُميَ با العبد، كان مسمّاه معيَّنًا مختصًا به، فما يُوصف الله به، ويُوصَفُ به العبادُ، يوصفُ الله به على ما يليقُ به، ويُوصَفُ العبادُ على ما يَليقُ بم من ذلك.

(١) سورة الشورى آية : ١١ .

(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

٧ - رفض التأويل الكلامي

إن التأويل عند المتكلمين عامةً يقتضي اتخاذَ العقل أصلًا في التفسير مقدمًا على الشرع، فإذا ظَهَرَ تعارض بينهما، فينبغي تأويلُ النصوص إلى ما يُوافِقُ مقتضى العقل، كتأويل أدلة الرؤية، وأدلة العلو، وآيات الصفات، وما إلى ذلك، والسلفُ يرفُضُون هذا النوع من التأويل، ويُخَطئُون القائل به، ويَشْتَدونَ في النكير عليه، لأنه يُفْضِي إلى تعطيل النصوص، والتجاوز بها إلى معانٍ وآراء مدخولة، تستهدفُ هدمَ الشريعة، وإضلالَ معتَقِدِيها، وبلبلةَ مَا استقر في قلوبهم، وامتَزَجَ بنفوسهم من عقائد واضحة لا لُبْسَ فيها، ولا شائبة من غموضٍ، والتأويل الصحيحَ المقبولُ عندهم هو الذي يُوافق ما دَلتْ عليه النصوصُ، وجاءَتْ به السنةُ، وغيرُه هو الفاسدُ.

٨ - تقييد العقل وعدَمُ الاعتداد به في غير مجاله

إن العقل وسيلةٌ محدودة من وسائل المعرفة، لا يُدرك غير الأمور المحسوسة على سبيل التيقن، ويدرك الأمور الغيبية على سبيل فهم المعنى فقط، دون الكيفية، فالسلف يؤمنون بإثبات ما أخبر به النص في ما يتعلق بالأمور الغيبية، ويصدقون به، ولا يتعرضون للبحث في كيفيته، لأن ذلك مما يعز على العقل مَرَامُه.

وليس عدم الاعتداد بالعقل فيما لا يدخل في مجاله إلغاء للعقل بالكلية، فقد أجمع المسلمون على أنه لا تكليف على صبي ولا مجنون، وأنه لا بُد من نظر العقل، ولذلك أمر الله بتدبر كتابه، ولا يمكن أن يتحقق هذا التدبر إلا بالعقل، وإنما الممنوع أن يستخدم العقل في غير موضعه، أو أن يخضع في الاستدلال لمنهج يخالف المنهج الذي جاء في القرآن والسنة.

فهم لا يُعلُونَ من شأن العقل، ولا يُغالون في أحكامه، ولا يحكمون باستقلاله وكفايته، وإنما يضعونه في موضعه اللائق به، فيَستَعملونَه في نطاق قُدرته وإمكاناته في النظر في ملكوت السماوَات والأرض، وفي الاجتهاد فيَ القضايا العملية، وفي اكتشافِ العلومِ المادية، التي تهدفُ إلى ترقية المجتمع وتطويره، وهذا من تمام علمهم، وبُعْد نظرِهم،

وسلامةِ تفكيرهم، ولو كان العقل يفسرُ بواسطتهَ كُلّ الأشياء، لما كان هناك حاجةٌ إلى إرسال الرسل، وإنزال الكتب السماوية.

يقول ابن خلدون في " مقدمته " (١)

" العقلُ ميزان صحيحٌ، فأحكامُه يقينّيةٌ لا كَذِب فيها، غير أنك لا تَطمُعُ أن تَزِنَ به أمورَ التوحيد، والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائِقَ الصفات الإلهية، وكل ما وراءَ طَوره، فإن ذلك طمعٌ في محال، ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب، فطمع أن يزن به الجبال، وهذا لا يدل على أن الميزان في أحكامه غير صادق، لكن العقل قد يقف عنده، ولا يتعدى طوره حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته، فإنه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه ".

ويقول السرهندي: (٢)

" إن طور النبوة وراء العقل والتفكير، فالحقائق التي يعجز العقل عن إدراكها، تأتي النبوة لتثبيتها وتحققها ولو كان العقل كافيًا وحده، لما بعث الأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين، ولما ربط عذاب الآخرة ببعثتهم:

﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولاً ﴿١٥﴾ ﴾ (٣) [الإسراء: ١٥].

والعقلُ حجةٌ، ولكنه ليس بحجةٍ بالغة، وليس في حجته بكامل، وقد تحققت الحجة البالغة ببعثة الأنبياء والرسل عليهم الصلوات والتسليم، فقطعت ألسنة المكلفين، وقضت على معاذيرهم، يقول الله تعالى:

﴿ رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾ (٤) [النساء: ١٦٥].

---

(١) الصفحة : (٣٦٤ - ٣٦٥) .
(٢) في الرسالة رقم (٣٦) الموعة الثالثة .
(٣) سورة الإسراء آية : ١٥ .
(٤) سورة النساء آية : ١٦٥ .

ولما ثبت عجز العقل وقصوره في بعض القضايا، فليس من المستحسن أن توزن جميع الأحكام الشرعية في ميزان العقل، وإن محاولة التطبيق بين العقل وبين الأحكام الشرعية بصفة دائمة، والتزام ذلك، والتقيد به، حكم بكفاية العقل وغناه، وإنكارٌ للنبوة. أعاذنا الله تعالى منه ".

ويقول أيضًا:

" إن إخضاع أخبار الأنبياء الصادقة للطريقة العقلية للبحث والتأمل، والتحقيق والتوفيق بينهما، إنكار في الحقيقة للنبوة، فالاعتماد في هذه القضايا التي هي وراء طور العقل على الاتباع الكامل، والإيمان الصادق بالأنبياء عليهم الصلوات والتسليمات من غير طلب الدليل والبرهان.

ولا يظن ظان أن طريقة النبوة تعارض طريق العقل، لا، بل إن طريق العقل، وهو النظر والاستدلال، لا يؤدي بدون تقليد الأنبياء واتباعهم إلى هذا المقصِد الرفيع، المعارضة شيء، والعجز والقصور شيء آخر، لأن المعارضة لا تتصور إلا بعد القدرة والتمكن ".

٩ - الأخذ بقياس الأولى

٩ - الأخذ بقياس الأولى (١) **في الإثبات والنفي في حقه سبحانه:**

فإن لله المثل الأعلى، وقد أثبت الله تعالى ذلك لنفسه في ثلاثة مواضع من القرآن:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٢) [النحل: ٦٠].

الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ

---

(١) ويسمى عند الأصوليين : القياس الجلي ، وهو ما يكون الفرع أولى من الأصل بالحكم ، لوضوح العلة وظهورها فيه ، كتحريم الضرب للوالدين ، قياسًا على تحريم التأفيف ، وأما قياس التمثيل والشمول؛ فالأول : إلحاق الشيء بنظيره ، والثاني : إدخال الشيء تحت حكم المعنى العام الذي يشمله . " الوجيز في أصول التشريع الإسلامي " : (٣٧٣) ، " أصول مذهب الإمام أحمد " : (٦١٣ ، ٦٤٣) .

(٢) سورة النحل آية : ٦٠ .

ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ (١) [الروم: ٢٧].

الثالث: قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ (٢) [الشورى: ١١].

فقياس الأولى: هو طريق إثبات الكمال لله، فما كان كمالًا لغيره، فهو أحق به منه، لأن له المثل الأعلى في كل كمال لا نقص فيه.

والكمال والنقص هما قطب الرحى في موقف السلف من الصفات نفيًا وإثباتًا.

فكل ما تضمن كمالًا لا نقص فيه، فالله أحق به.

وكل ما كان نقصًا من صفات المخلوقين، أو كان كمالًا متضمنا لنقص بوجه من الوجوه، فالله أولى بأن يُنَزَّه عنه، كالنوم والولد والأكل.

ومعنى الكمال والنقص، يجب أن يؤخذ من الشرع، حتى لا نصفه بما قد يظن أنه كمال في حقه بالمقايسة على المخلوقين، وهو ليس كمالًا بالنسبة له سبحانه.

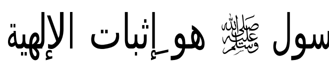
فما سكت عنه الشرع نفيًا وإثباتًا، ولم يكن في العقل ما يثبته أو ينفيه، سكتنا عنه، ونثبت ما علمنا ثبوته من ذلك، وننفي ما علمنا نفيه.

١٠ - تحديد الألفاظ المتنازع عليها وتعيين مدلولاتا

لقد اشتدت عناية السلف في تحديد الألفاظ، وتعيين مدلولاتا، لأن كثيرًا من الفرق يحتجون بألفاظ متشابهة مجملة يعارضون ﺑﺎ نصوص الكتاب والسنة، وتلك الألفاظ قد وردت في الكتاب، والسنة، وكلام الناس بمعانٍ أُخر غير المعاني التي قصدوها هم ﺑﺎ، فمثلًا التوحيد عند المتكلمين: هو الإقرار بأن الله واحد في ذاته لا قسيم له، وواحدٌ في صفاته لا شبيه له، وواحد في أفعاله لا شريك له.

وهذا التعريف لا يتعدى توحيد الربوبية.

(١) سورة الروم آية : ٢٧ .
(٢) سورة الشورى آية : ١١ .

والتوحيد الذي جاء به الرسول  هو إثبات الإلهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله، ولا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالي إلا له، ولا يُعادي إلاّ فيه، ولا يعملَ إلاّ لأجله.

وذلك يتضمن توحيد الربوبية ويتضمن ما أثبته لنفسه.

والألفاظُ نوعان: نوعٌ جاء به الكتاب والسنة، فيجب على كل مؤمن أن يقر بموجب ذلك، فيثبت ما أثبته الله ورسوله ﷺ ومن تمام العلم أن يَبْحَثَ عن مرادِ رسوله بها، ليُثبتَ ما أثبته، وينفي ما نفاه من المعاني.

وأما الألفاظُ التي ليست في الكتاب والسنة، ولا اتفق السلف على إثباتها ونفيها، فهذه ليس على أحد أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنى يوافق خبر الرسول، أقر به، وإن أراد بها معنى يخالف خبر الرسول، أنكره.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [1] - رحمه الله -:

" وإذا كان المتكلم في مقام الإجابة لمن عارضه بالعقل، وادعى أن العقل يعارض النصوص، فإنه قد يحتاج إلى حل شبهته، وبيان بطلانها، فإذا أخذ النافي يذكر ألفاظا مجملة، مثل أن يقول: لو كان استوى على العرش لكان جسمًا أو مركّبًا، وهو منزه عن ذلك، ولو خَلَقَ واستوى، وأتى لفصل القضاء، لكانت تحُلة الحوادثُ وهو منزه عن ذلك، ولو قامت به الصفات لحلته الأعراض وهو منزه عن ذلك.

فهنا يستفصلُ السائل ويقول له: ماذا تريد بهذه الألفاظ المُجملة؟

فإن أراد بها حقًا وباطلًا، قُبِلَ الحق، ورُد الباطل، مثل أن يقول: أنا أريد بنفي الجسم نفيَ قيامه بنفسه، وقيام الصفات به، ونفي كونه مركّبًا، فنقول: هو قائم بنفسه، وله صفات قائمة به، وأنتَ إذا سَميتَ هذا تجسيمًا، لم يَجُز أن أدَعَ الحق الذي دل عليه صحيح المنقول، وصريح المعقول، لأجل تسميتك أنت له بهذا.

وأما قولك: " ليس مركّبا "، فإن أردتَ به أنه سبحانه رَكّبَهُ مركب، أو كان متفرقًا،

(١) " درء تعارض العقل والنقل " لابن تيمية : (١ / ٢٣٨ - ٢٣٩) .

مُتركب، وأنه يمكنُ تفرقُه وانفصالُه، فالله تعالى منزهٌ عن ذلك، وإن أردت أنه موصوفٌ بالصفات مباينٌ للمخلوقات، فهذا المعنى حقٌ، ولا يجوز رده لأجل تسميتك له مركبًا، فهذا ونحوه مما يجاب به ".

ويقول أيضًا:

" فليس لأحدٍ أن يقول: إن الألفاظ التي جاءت في القرآن موضوعة لمعان، ثم يريد أن يفسر مراد الله بتلك المعاني، هذا من فعل المفترين، فإن هؤلاء عمدوا إلى المعاني، وظنوها ثابتة، فجعلوها هي معنى الواحد، والوجوب، والغنى، والقدم، ونفي المثل.

ثم عمدوا إلى ما جاء في القرآن من تسمية الله تعالى بأنه أحدٌ وواحدٌ، ونحو ذلك من نفي المثل والكُفْءِ، فقالوا: هذا يَدُلّ على المعاني التي سميناها بهذه الأسماء، وهذا من أعظم الافتراءِ على الله " [1].

١١ - تحديد معنى المتشابه وبيان أن القرآن كله واضح يمكن تفسيره

المُحْكَمُ أقسامٌ ثلاثة، ويقابل كل واحد منها نوعٌ من المتشابه:

فالإحكام تارة يكون في التنزيل، ويقابله ما يلقيه الشيطان مما نسخَهُ الله وأزالَهُ.

وتارةً يكون في إبقاء التنزيل، ويقابلُه المنسوخُ الذي هو رَفع ما شُرِعَ.

وتارةً يكونُ في التأويل، ومعناه تمييز الحقيقةِ المقصودة حتى لا تَشتَبَهَ بغيرها، ويُقابلُها الآياتُ المتشابهات، أي: التي تشبه هذا، وتشبه ذاك، فتكون محتملة للمعنيين. قال الإمام أحمد [2]

" المحكَمُ: الذي ليس فيه اختلافٌ، والمتشابه: الذي يكون في موضع كذا، وفي موضع كذا ".

والتشابه أمرٌ نسبي إضافي، فقد يَشْتَبِهُ على إنسان، ما لا يَشتَبِهُ على غيره، وقد يكون في القرآن آياتٌ كثيرة لا يَعْلَمُ معناها كثيرٌ من العلماء، فضلًا عن غيرهم، وليس ذلك في

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية " : (٦ / ١١١) .

(٢) العدة في أصول الفقه " لأبو يعلى محمد بن الحسين الفراء : (٢ / ٦٨٥) .

آية معينة، بل قد يُشكِلُ على هذا ما يَعْرِفُه ذلك، وذلك تارة قد يكون لغرابة في اللفظ، وتارة لاشتباه المعنى بغيره، وتارة لشبهةٍ في نفس الإنسان تَمنَعُه من معرفة الحق، وتارة لعدم التدّبر التام، وتارة لغير ذلك من الأسباب، ولكن ذلك لا يعني أن معرفة المعنى المقصود من هذه الآيات مستحيلٌ لا يمكن دركُهُ كما يدعي ذلك من يدعيه مِن المتكلمين.

ولفظُ التأويل في عُرْف السلَف له معنيان:

أحدهما: تفسير الكلاَم وبيانُ معناه، سواءٌ أوافقَ ظاهره أو خالَفه، فيكون التأويل والتفسير بذا المعنى متقاربين أو مترادفين، وهذا هو الذي عَنَاه مجاهد حينما قال: إن العلماء يعلمون تأويله.

ومحمد بن جرير الطبري يقول في " تفسيره ": القولُ في تأويل قوله كذا وكذا، واختلف أهلُ التأويل في هذه الآية ونحو ذلك، ومرادُه التفسير، والقرآن كله بذا المعنى، محكمه ومتشابه يمكن تأويله، ليس فيه شيء لا يفقه معناه، ورسول الله لم يُمتْ حتى كان صحابُته على علم تام بجميع معاني الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية.

قال مجاهد: عَرَضْتُ المصحف على ابن عباس من فاتحته إلى خاتمته أقِفُ عند كُل آية أسألُه عنها.

وقال ابنُ مسعود: ما في كتاب الله آيةٌ إلاَ وأنا أعلم فيم أنزلَتْ.

وقال الحسن: ما أنزَلَ الله آيةً إلا وهو يُحِب أن يُعْلَمَ ما أراد با.

ولهذا كانوا يجعلون القرآن محيطًا بكل ما يُطلب من علم الدين، كما قال مسروق، ما نسأل أصحاب محمد عن شيء إلا وعلمُهُ في القرآن، ولكن عِلْمُنا قَصَرَعنه.

ويعارضون من يقول: إن التشابه يكون في معنى اللفظ بحيث لا يَعْلَمُ المراد به إلا الله تعالى، وَيَرَوْنَ أن لازم هذا القول أن الله أنزل على نبيه كلامًا لم يكن يَفهم معناه لا هو ولا جبريل ولا غيرهما، وهذا قدحٌ في النبي ﷺ وفي القرآن، إذ كان الله أنزل القرآن، وأخبر أنه جعله بيانًا وهدى ونورًا وشفاءً، وأمرنا أن نتدبره ونعقله كله، لم يستثن منه

شيئًا لا يُتدبر ولا يُعقل، وأمر الرسول أن يبين للناس ما نُزلَ إليهم، وأن يبلغَهم البلاغَ المبين.

فلو كان في القرآن شيءٌ لا يُفْقَه معناه، لم يكن هناك معنى للأمر بتدّبره وعقله، ولم يكن الرسول حينئذٍ بَينَ للناس ما نُزلَ إليهم، ولا بَلغَ البلاغ المبين.

وأما المعنى الثاني للتأويل، فهو نفس المراد بالكلام، فإن كان الكلامُ أمرًا أو نَهيًا، فتأويلُه نفسُ فعل المأمور به، وترك المحظور، كما قالت عائشة رضي الله عنها:

﴿ كان رسول الله ﷺ يُكثر أن يقول في ركوعِه وسجوده: " سبحانَكَ اللهمّ ربنا وبحَمْدِكَ، اللهمّ اغْفِرْ لي " يتأولُ القرآن ﴾ [1] [2]. تعني أن هذا هو تأويلُ قوله تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ﴾ [3] [النصر: ٣].

وإن كان الكلام خبرًا، فتأويله نفسُ الشيء المُخبِر عنه، فتأويل ما أخبر الله به عن نفسه، وعن اليوم الآخر، هو نفس الحقيقة التي يُخبر عنها، وذاك في حق الله هو كُنه ذاته وصفاته التي لا يعلمها غيره، وتلك هي المتشابه الذي لا يَعْلَمُ تأويله إلا الله، فإن أحدًا لا يعرفُ كيفيةَ ما أخبر الله به عن نفسه، ولا يقف على كنه ذاته وصفاته غيره، وهذا هو الذي يجبُ تفويضُ العلم فيه إلى الله ﷻ [4].

---

(١) البخاري تفسير القرآن (٤٦٨٤) ، مسلم الصلاة (٤٨٤) ، النسائي التطبيق (١٠٤٧) ، أبو داود الصلاة (٨٧٧) ، ابن ماجه إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٨٩) ، أحمد (٤٣/٦) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ، سورة (إذا جاء نصر الله والفتح) (٤٩٦٧ ، ٤٩٦٨) ، ومسلم في كتاب الصلاة ، باب ما يقال في الركوع والسجود : (٤٨٤) ، وأبو داود في كتاب الصلاة ، باب في الدعاء في الركوع والسجود : (٨٧٧) ، والنسائي في كتاب التطبيق ، باب نوع آخر من الذكر في الركوع : (١٠٤٧ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣) ، وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة . . ، باب التسبيح في الركوع والسجود : (٨٨٩) ، وأحمد في مسنده : (١ / ٣٨٨ ، ٣٩٢) .

(٣) سورة النصر آية : ٣ .

(٤) انظر " مجموع الفتاوى لابن تيمية " : (٦ / ٤٣٤) .

١٢ - تأثير الأسباب الطبيعيّة في مسبباتنا بإذن الله

إن الله يخلق السحاب بالرياح، وينزل الماء بالسحاب، ويُنبِتُ النباتَ بالماء، ونحو ذلك. والقولُ بأن الله يَفْعَلُ عند الأسباب لا بِها يُفضي إلى إبطال حِكمةِ الله في خلقه، وأنه لم يجعل في العين قوةً تمتاز بها عن الخد تُبصِرُ بها، ولا في النار قوةً تمتازُ بها عن التراب تَحْرِقُ بها، فضلًا عما في هذا القول من مخالفةٍ للكتاب والسنة، فإن الله تعالى يقول:

﴿ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ [1] [الأعراف: ٥٧].

ويقول:

﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [2] [البقرة: ١٦٤].

ويقول:

﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ [3] [التوبة: ١٤].

ويقول:

﴿ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ﴾ [4] [التوبة: ٥٢].

ويقول:

﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ﴾ [5] [ق: ٩].

ويقول:

﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ

(١) سورة الأعراف آية : ٥٧ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٦٤ .
(٣) سورة التوبة آية : ١٤ .
(٤) سورة التوبة آية : ٥٢ .
(٥) سورة ق آية : ٩ .

سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ ﴾ [1] [المائدة: ١٥، ١٦].

ومثل هذا في القرآن كثير، وكذلك في الحديث عن النبي ﷺ كقوله: ﴿ لا يموتن أحدٌ منكم إلا آذَنْتموني حتى أُصلي عليه، فإن الله جاعلٌ بصلاتي عليه بركةً ورحمة ﴾ [2].

وقال ﷺ ﴿ إن هذه القبور مملوءةٌ على أهلها ظُلْمَةً، وإن الله جاعلٌ بصلاتي عليهم نورًا ﴾ [3] [4].

فالله سبحانه خلق الأسباب والمسببات وجعل هذا سببًا لهذا، فإذا قال القائل: إن كان مقدورًا، حصل بدون السبب، وإلا لم يحصل. جوابه أنه مقدورٌ بالسبب، وليس مقدورًا بدون السبب.

وقولهم: إن الله تعالى أجرى العادة بهذه الأسباب، وأنه ليس لها تأثير في المسببات بإذنه، قولٌ بعيدٌ جدًا عن مُقتضى الحكمة، بل هو مُبطلٌ لها، لأن المسببات إنْ كان يمكن أن تُوجَدَ من غير هذه الأسباب، فأي حكمةٍ في وجودها عن هذه الأسباب.

١٣ - الحسنُ والقبْحُ في الأفعال عقْليّان وشرعيان

وقد ذهبوا في هذه المسألة مذهبًا وسطًا، وهو أن الأفعال في نفسها حسنةٌ وقبيحةٌ، كما أنها نافعةٌ وضارةٌ، وأن العقلَ يُدركُ الحسْنَ والقبْحَ في الأشياء، والله قد فطر عباده على استحسان الصدق، والعدل، والعفة، والإحسان، ومقابلة المنعم بالشكر، وفطرهم على استقباح أضدادها، لكن الثواب والعقاب شرعيّان يتوقفان على أمر الشارع ونهيه، ولا يَجِبان عن طريق العقل.

---

(١) سورة المائدة آية : ١٥ - ١٦ .

(٢) أخرجه النسائي في كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر : (٢٠٢٢) ، وابن ماجه في كتاب الجنائز ، باب ما جاء في الصلاة على القبر : (١٥٢٨) .

(٣) البخاري الجنائز (١٢٧٢) ، مسلم الجنائز (٩٥٦) ، أحمد (٢/٣٨٨) .

(٤) أخرجه البخاري بنحوه في كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر بعدما يدفن : (١٣٣٧) ، وأخرجه مسلم واللفظ له في كتاب الجنائز ، باب الصلاة على القبر : (٩٥٦) .

١٤ - إثبات العقيدة بخبر الواحد المتلقى بالقبول عملًا وتصديقًا

فقد احتجوا بخبر الواحد المتلقى بالقبول في مسائل الصفات والقدر، وعذاب القبر ونعيمِه، وسؤال الملكين، وأشراط الساعة، والشفاعة لأهل الكبائر، والميزان، والصراط، والحوض، وكثير من المُعجزات، وما جاء في صفة القيامة والحشر والنشر، والجزم بعدم خلود أهل الكبائر في النار.

١٥ - موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

فكُلّ ما ثبت من مسائل العقيدة في الكتاب، والسنة، يصدقها العقل الكامل الصحيح الذي يُستخدم بدقةٍ وإمعانٍ، لأن العقل الصريح في دلالته على المراد، لا يمكن أن يخالف المنقول الصحيح الثابت، لأن العقل والنقل وسيلتان لغايةٍ واحدةٍ، هي الوصولُ إلى الله، والوسائل التي تؤدي إلى غايةٍ واحدةٍ لا يمكن لها أن تتعارض.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

" المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، وقد تأملت ما تنازع فيه الناس، فوجدت ما خالف النصوص الصريحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانا، بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع، وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار، كمسائل التوحيد والصفات، ومسائل القدر، والنبوات، والمعاد، وغير ذلك.

ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه السمع، الذي يقال إنه يخالفه: إما حديثٌ موضوعٌ، أو دلالةٌ ضعيفةٌ، فلا يصلح أن يكون دليلًا لو تجرد عن معارضة العقل الصريح، فكيف إذا خالفه صريح المعقول !

ونحن نعلم أن الرسل لا يُخبِرون بمحالات العقول، بل بمحارات العقول، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته.

١٦ - عدم جواز تكفير المسلم بذنب فعله إذا كان دون الشرك الأكبر، وكان هذا الذنب مما اختلف فيه، ولا بخطأ أخطأ فيه

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية [١] - رحمه الله - وهو بصدد الحديث عن قاعدة أهل السنة والجماعة في أهل الأهواء والبدع:

" ولا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله، ولا بخطأ أخطأ فيه، كالمسائل التي تنازع فيها أهل القبلة، فإن الله تعالى قال:

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [٢] [البقرة: ٢٨٥]، وقد ثبت في الصحيح أن الله تعالى أجاب هذا الدعاء، وغفر للمؤمنين خطأهم [٣] والخوارج المارقون الذين أمر النبي ﷺ بقتالهم قاتلهم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أحد الخلفاء الراشدين، واتفق على قتالهم أئمةُ الدين من الصحابة والتابعين من بعدهم، ولم يُكفرهم علي بن أبي طالب، وسعدُ بن أبي وقاص، وغيرهما من الصحابة، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم، ولم يقاتلهم عليّ حتى سفكوا الدم الحرام، وأغاروا على أموال المسلمين، فقاتلهم لدفع ظلمهم وبغيهم، لا لأنم كفارٌ، ولهذا لم يسبِ حريمهم، ولم يَغْنَمْ أموالهم.

---

(١) مجموعة الفتاوى لابن تيمية " : (٣ / ٢٨٢ - ٢٨٥) .

(٢) سورة البقرة آية : ٢٨٥ .

(٣) أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف إلا ما يطاق : (١٢٦) ، والترمذي في كتاب تفسير القرآن ، باب " ومن سورة البقرة " : (٢٩٩٢) عن ابن عباسقال : لما نزلت هذه الآية : (وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله) [البقرة : ٢٨٤] ، قال : دخل قلوبم منها شيء لم يدخل قلوبم من شيء فقال النبي " قولوا : سمعنا وأطعنا وسلّمنا " قال : فألقى الله الإيمان في قلوبم فأنزل الله(لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) ، قال : قد فعلت ، (ربنا ولا تحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا) ، قال : قد فعلت ، (واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا) ، قال : فعلت [الآية من سورة البقرة : ٢٨٦] . كما أخرجه مسلم من طريق آخر من حديث أبي هريرة(١٢٥) .

وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلِط فيها من هو أعلم منهم !

فلا يحل لإحدى هذه الطوائف أن تُكفرَ الأخرى ولا تستحل دمها ومالها، وإن كانت فيها بدعة محققة، فيكف إذا كانت المكفرة لها مبتدعةً أيضًا !

وقد تكون بدعة هؤلاء أغلظ. والغالب أنم جميعًا جُهالٌ بحقائق ما يختلفون فيه.

والأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمةٌ من بعضهم على بعض، لا تحِلّ إلا بإذن الله ورسوله.

قال النبي ﷺ لما خطبهم في حجة الوداع:

﴿إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا ﴾ [١] [٢].

وقال ﷺ ﴿ كل المسلم على المسلم حرامٌ: دمُهُ، وماله، وعِرضُه ﴾ [٣] [٤].

وقال ﷺ ﴿ من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له

---

(١) أحمد (٣٣٧/٤) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب العلم ، باب قول النبي " رب مبلغ أوعى من سامع " : (٦٧) ، ومسلم في كتاب القسامة ، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال : (١٦٧٩) ، والترمذي في كتاب الفتن ، باب ما جاء دماؤكم وأموالكم . . إلخ : (٢١٥٩) ، وابن ماجه في كتاب المناسك ، باب الخطبة يوم النحر : (٣٠٥٥ ، ٣٠٥٧ ، ٣٠٥٨) ، وأحمد في مسنده : (١ / ٢٣٠) .

(٣) مسلم البر والصلة والآداب (٢٥٦٤) ، أحمد (٢٧٧/٢) .

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب تحريم ظلم المسلم وخذله . . إلخ : (٢٥٦٤) ، وأبو داود في كتاب الأدب ، باب في الغيبة : (٤٨٨٢) ، والترمذي في كتاب البرّ والصلة ، باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم : (١٩٢٧) ، وابن ماجه في كتاب الفتن ، باب حرمة دم المؤمن وماله : (٣٩٣٣) ، وأحمد في مسنده : (٢ / ٢٧٧ ، ٣٦٠) .

ذمة الله، وذمة رسوله فلا تُخفروا الله في ذمته ﴾ [1] [2].

وقال: ﴿ إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار " قيل: يا رسول الله، هذا القاتل، فما بالُ المقتول؟ قال: "إنه أراد قتل صاحبه ﴾ [3] [4].

وقال: ﴿ لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض ﴾ [5] [6].

وقال: ﴿ أيما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما ﴾ [7] [8].

هذه الأحاديث كلها في الصحاح.

إذا كان المسلم متأولا في القتال أو التكفير لم يكفر بذلك، كما قال عمر بن الخطاب في حاطب بن أبي بلتعة: ﴿ يا رسول الله، دعني أضرب عُنُقَ هذا المنافق، فقال النبي ﷺ "إنه قد شهد بدرا، وما يدريك، لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ﴾ [9] وهذا في " الصحيحين " [1].

---

(١) البخاري الصلاة (٣٨٤) ، الترمذي الإيمان (٢٦٠٨) ، النسائي الإيمان وشرائعه (٤٩٩٧) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤١) ، أحمد (٢٢٥/٣) .

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة ، باب فضل استقبال القبلة . . إلخ : (٣٩١) ، والنسائي في كتاب الإيمان وشرائعه ، باب صفة المسلم : (٤٩٩٧) .

(٣) البخاري الإيمان (٣١) ، مسلم الفتن وأشراط الساعة (٢٨٨٨) ، النسائي تحريم الدم (٤١٢٢) ، أبو داود الفتن والملاحم (٤٢٦٨) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٦٥) ، أحمد (٥١/٥) .

(٤) تقدم تخريجه في الصفحة (٥٩) .

(٥) البخاري الأدب (٥٨١٤) ، مسلم الإيمان (٦٦) ، النسائي تحريم الدم (٤١٢٧) ، ابن ماجه الفتن (٣٩٤٣) .

(٦) تقدم تخريجه في الصفحة (٥٨) .

(٧) البخاري الأدب (٥٧٥٣) ، مسلم الإيمان (٦٠) ، الترمذي الإيمان (٢٦٣٧) ، أبو داود السنة (٤٦٨٧) ، أحمد (١١٣/٢) ، مالك الجامع (١٨٤٤) .

(٨) تقدم تخريجه في الصفحة (٥٩) .

(٩) البخاري المغازي (٤٠٢٥) ، مسلم فضائل الصحابة (٢٤٩٤) ، الترمذي تفسير القرآن (٣٣٠٥) ، أبو داود الجهاد (٢٦٥٠) ، أحمد (٨٠/١) .

وفيهما أيضًا من حديث الإفك: ﴿ أن أُسيدَ بن الحُضير قال لسعد بن عبادة: إنك منافقٌ تُجادلُ عن المنافقين، واختصم الفريقان، فأصلح النبي ﷺ بينهم ﴾ [٢] [٣] فهؤلاء البدريون فيهم مَنْ قال لآخر منهم: إنك منافق، ولم يكفر النبي ﷺ لا هذا، ولا هذا، بل شَهِدَ للجميع بالجنة.

وكذلك ثَبتَ في " الصحيحين " [٤] عن أسامة بن زيد ﴿ أنه قتل رجلًا بعدما قال: لا إله إلا الله، وعظّم النبي ﷺ ذلك لما أخبره، وقال: " يا أسامة، أَقتلْتُه بعدما قال: لا إلى إلا الله ! " وكرر ذلك عليه حتى قال أسامةُ: تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ إلا يومئذ ﴾ [٥].

ومع ذلك لم يوجب عَليه قَوَدًا ولا ديةً ولا كفّارة، لأنه كان متأولًا ظن جواز قتل ذلك القائل لظنه أنه قالها تعوّذًا.

وهكذا السلفُ قاتل بعضُهم بعضًا من أهل الجمل وصفين ونحوهم، وكلّهم مسلمون مؤمنون، كما قال تعالى:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ﴾ [٦] [الحجرات: ٩].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب من شهد بدرًا : (٣٩٨٣) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنه . . . إلخ : (٢٤٩٤) .

(٢) البخاري المغازي (٣٩١٠) ، مسلم التوبة (٢٧٧٠) ، أحمد (١٩٨/٦) .

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ، باب حديث الإفك : (٤١٤١) ، ومسلم في كتاب التوبة ، باب في حديث الإفك . . إلخ : (٢٧٧٠) .

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الديات ، باب قول الله تعالى : (ومن أحياها . .) : (٦٨٧٢) ، ومسلم في كتاب الإيمان ، باب تحريم قتل الكافر بعد أن قال : لا إله إلا الله : (٩٦ ، ٩٧) .

(٥) البخاري الديات (٦٤٧٨) ، مسلم الإيمان (٩٦) ، أبو داود الجهاد (٢٦٤٣) ، أحمد (٢٠٠/٥) .

(٦) سورة الحجرات آية : ٩ .

فقد بين الله تعالى أنهم مع اقتتالهم وبغي بعضهم على بعض إخوة مؤمنون، وأَمَرَ بالإصلاح بينهم بالعدل، ولهذا كان السلفُ مع الاقتتال يوالي بعضُهم بعضًا موالاةَ الدين، لا يُعادُون كمعاداة الكفار، فيقبلُ بعضُهم شهادة بعض، ويأخذ بعضهم العلم عن بعض، ويتوارثون، ويتناكحون، ويتعاملون بمعاملة المسلمين بعضهم مع بعض، مع ما كان بينهم من القتال والتلاعن وغير ذلك.

خاتمة

وهكذا أيها المسلم مررنا - بإيجاز - على مجمل اعتقاد سلفنا الصالح وأئمتنا المعتبرين، ورأينا كيف أنهم - في الجملة - متفقون، وأنهم ينبعون من منبع واحد، كتاب الله تعالى وسُنة رسوله ﷺ لم يكن بينهم اختلاف في المنهج.

وإذ كُنا نقلنا عن كل منهم مجمل اعتقاده في أصول الدين، تحت عنوان مجمل عقيدة ذلك الإمام، فليس المقصود أن له عقيدة تخالف معتقد الآخرين، ولكن المقصود ذكر ما أُثر عنه بلفظه في هذه المسائل.

والمقصود - أيضًا - أن نتأسى - وخاصة العلماء والدعاة منا - بهؤلاء الأئمة، وأن لا نختلف حيث لم يختلفوا، وأن لا نُقدم على أمر العقيدة أي شيء، وأن يكون في منهج كل داعية، وكل جماعة تدعو إلى الإسلام الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، تأصيلًا وتحقيقًا، وفق ما نزل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما سار عليه أئمة السلف.

فإذا كان ذلك، فإن النتائج ستكون مباركةً في صلاح الأمة الإسلامية واستقامتها على المنهج الحق.

وإن لم يكن ذلك - كما هو المُشاهد في كثير من الدعوات والجماعات في الوقت الحاضر - فإن الشتات والفرقة وغلبة الهوى، هي التي ستسود الناس، وبالتالي لن تكون نهضة إسلامية، وستتعثر الصحوة الإسلامية التي تُعلق الآمال عليها، بفضل الله وتوفيقه في عودة المسلمين إلى كتاب ربهم، وسنة نَبيهم ﷺ واعتصامهم بحبل الله، والتزامهم حكمه، وتطبيقهم شرعه.

نسأل الله بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا أن يوفقنا لصالح العمل، ويهدينا للتي هي أقوم، وأن يُجنبنا كل زَلَل في ديننا ودنيانا، فهو القادر على ذلك، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

الفهرس